براهين الدين
ضد اللا_دينية

الطبعة الأولى
1445 هـ / 2024 م

اسم الكتـــاب: براهين الدين ضد اللادينية
المـــؤلـــف: أ.أحمد عبد العزيز محمد
موضوع الكتاب: إسلامي
عدد الصفحات: 224 صفحة
عدد المـــلازم: 14 ملزمة
مقاس الكتـاب: 24 × 17
عدد الطبعـات: الطبعة الأولى
الترقيم الدولي: 978-9921-815-481

محفوظة جميع الحقوق

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع، والتصوير، والنقل، والترجمة، والتسجيل المرئي والمسموع والحاسوبي، وغيرها من الحقوق إلا بإذن خطي من الدار.

دار البشير للثقافة والعلوم
elbasheer.marketing@gmail.com
elbasheernashr@gmail.com
01152806533 - 01012355714

براهين الدين ضد اللا_دينية

أ. أحمد عبد العزيز محمد

١٤٤٤هـ-٢٠٢٣م

دار البشير للثقافة والعلوم

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مُقَدِّمَة

الحمد لله الذي أوضح الطريق لأوليائه، وأظلم السبل على معانديه وأعدائه، أحمده على جزيل نعمائه، وأشكره على كثير عطائه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة أتوصل بها إلى نيل رضائه، وأحقق بها عظيم آلائه، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، سيد أصفيائه، وإمام أوليائه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وأبنائه وسلم تسليما كثيرا. وبعد:

بتوفيق الله سنشرح مصادر المعرفة ونرد على كل شبهة ممكنة للمخالف ونذكر براهين وجود الله عز وجل ونرد على كل ما يطرحه المخالف من شبهات.

وبعدها نبين وجوب اتصاف الخالق بصفات الكمال، ثم نثبت بعض الصفات التي يستحقها عقلا ونقلا ببراهين قوية ونافعة إن شاء الله تعالى.

* * *

سبب تأليف الكتاب

لمرحلة طويلة اكتفيت بالإجابة على الأسئلة التي قد تشكل على بعض الإخوة المحاورين، وناظرت أهل الضلال من الملحدين وأمثالهم، ورددت على المتشككين حتى وقعت عيني على إحدى كتب أهل العلم من الذين يردون على الإلحاد

وقال لي أحد طلبة العلم: ما قولك في هذه الحجة؟ فقلت له: هذه حجة كلامية تخالف الكتاب والسنة، وهي مع هذا حجة ضعيفة لا تعلي حقا ولا تبطل باطلا، فشك الأخ حتى ظن أن لا سبيل لمعرفة وجود الله إلا بهذا الطريق الباطل.

وكنت قد بينت له أن الحجة التي تخالف نصا من الكتاب والسنة يمتنع أن تكون صحيحة في نفس الأمر، ولكنها خيال عقلي قد يشتبه على بعض الناس.

ففكرت مليا أن أكتب حججا توافق الوحي على منهج أهل السنة، وقبل ذلك كلمت أحدهم فقال لي أن الحجج العقلية هي علم الكلام الذي ذمه السلف فقلت له أن هذا غير صحيح، وبينت له أن القرآن فيه حجج تخاطب العقول والقرآن أقام الحجج العقلية التي لا ينتبه لها البعض، ثم إن هؤلاء حفظوا حججا كلامية وظنوا أن لا سبيل لمعرفة الله إلا بها، وهذا لقلة تحصيلهم النقلي وبينت للسائل

أن العلماء قاطبة لم يعتبر واحد منهم أن الحجج العقلية في القرآن هي نفسها علم الكلام بل أغلب أهل الكلام يعتبرون أدلة القرآن أدلة خطابية لا برهانية.

وبينت له أن الحجج العقلية يجب أن توافق النقل، لأن النقل نزل مخاطبا للعقول وأن هناك طرقا تثبت الحق الذي هو في الوحي، وهي طرق عقلية سليمة والحجج العقلية الصحيحة إما أن تكون موجودة في الوحي صراحة،

وإما أن تكون غير موجودة فيه بوضوح ولكنها لا تعارضه ولا تُؤَول نصا[١] ولا ظاهرا[٢] من النقل.

ثم إني قررت أن أكتب ردا كاملا شاملا في هذا المبحث.

وخاطبني آخر فقال لي: العلم الحديث أثبت صحة الإسلام، وأنه لا يصح أن نخالف العلم فيما قرره كنظرية التطور وغيرها وإلا لبطل

الاحتجاج على صحة الرسالة وبطلت النبوة، وأشكل عليه كيف آمن الناس قبل العلم الحديث؟ فظن أنهم أمنوا كلهم بلا دليل حتى جاء العلم الحديث يؤيد إيمانهم.

فبينت له أن هذا باطل وأن نظرية التطور لم تصح علميا ولا عقليا ولا يمكن الجمع بينها وبين النقل، فأشكل عليه هذا فظن أن النظرية خاطئة ولكن مع هذا لا يمكن إثبات صحة الرسالة إلى بطريق النبوءات التي أثبتها العلم.

فقررت أن أبين الحجج التي ينتفع بها كل طالب علم إن شاء الله تعالى وباشرت كتابة هذا الكتاب مستعينا بالله حتى أبين امتناع معارضة العلم والعقل للوحي، وأن الحجج العلمية القطعية والعقلية القطعية يمتنع معها تأويل[٣] وتحريف الوحي كما فعل

المتكلمون ومن هم متعلقون بكل ما يقال عنه علمي ولو لم يصح علمياً وأرجو من الله أن ينتفع منه كل طالب علم يقرأه وبالله التوفيق.

---

(١) «النص» هو ما لا يحتمل إلا معنى واحد.

انظر تعريف النص اصطلاحًا في البرهان ١/ ٤١٣، المستصفى ١/ ٣٣٦، اللمع ص ١٤٣، أصول السرخسي ١/ ١٦٤، المحصول ١/ ١/ ٣١٦، شرح المحلي على جمع الجوامع ١/ ٢٣٦، إرشاد الفحول ص ١٧٨، شرح تنقيح الفصول ص ٣٦، فواتح الرحموت ٢/ ١٩.

(٢) «الظاهر» هو ما احتمل أمرين أحدهما أظهر من الآخر – شرح الورقات للفوزان–المهذب في علم أصول الفقه المقارن ٣/ ١٢٠٥.

(٣) «التأويل» هو صرف المعنى الراجح أي الظاهر، إلى المعنى المرجوح، أي البعيد.
النص ما لا يحتمل إلا معنى واحد–انظر المهذب في علم أصول الفقه المقارن ٣/ ١٢٠١

التأصيل ومصادر المعرفة

مبحث
التعريف باللا–دينية

التعريف باللا–دينية وهي أنواع:

١–) لا–ديني ربوبي: وهو منكر للأديان مثبت لوجود رب.

وهذا عادة يثبت للخالق الإرادة والقدرة والعلم والحكمة.

٢–) لا–أدري: وهو ينكر صحة الأديان ولا يدري أهناك خالق أم لا؟

وله أقوال عدة سنناقشها لاحقا إن شاء الله تعالى.

منها هل الكون ازلي أم لا؟

وأزلي تعريفها: أي الذي لا أول له.

وعامة هؤلاء ينكرون البديهيات العقلية التي ستأتي تفصيلاً إن شاء الله تعالى.

٣–) الملحد: وهو الذي ينكر وجود خالق وهؤلاء سنناقشهم تباعاً كذلك إن شاء الله تعالى.

والإلحاد[١]: هو الميل عن الحق كما هو معلوم.

* * *

(١) تعريف الالحاد: الميل عن الحق – لسان العرب والمصباح المنير.

مبحث
التأصيل

وهو واجب حيث أنك تعلم من خلاله بماذا تبدأ..

وعليك كذلك أن تعلم معتقد من تحاوره.

فلو طرح شبهة ما كمعضلة الشر مثلا..

وكان الشخص المحاور ملحدا فيختلف عن كونه ربوبيا من حيث المعتقد.

فالملحد[١] ننظر للشبهة معه هل هي تنفي وجود الله أم لا؟

أما الربوبي فننظر للشبهة معه هل تنفي بعض صفات الله؟ أو تنفي صحة الرسالة؟

= فيُردُّ على المُلحد: هل الشر ينفي وجود خالق؟

فإن كان الشر ينفي وجوده فالخير يثبت وجوده...!

ومعضلة الشر سنفصل[٢] فيها لاحقاً إن شاء الله.

والقصد هنا بيان وجوب معرفة معتقد من تحاور حتى تعلم كيف يتم تأصيل الرد معه.

مثال: طرح الربوبي لقضية معضلة الشر.

= نقول له: هل تثبت لله صفة الحكمة أم لا؟

---

(١) قال ويليام رو «اللا-أدري شخص لا هو مؤمن ولا هو مكذب بوجود الله على عكس الملحد الذي يكذب وجود الله صراحة"

(٢) راجع مبحث معضلة الشر معضلة الشر حجة ضد الملحد ومبحث الحكمة من وجود الشر وعلاقته بالإسلام

- فإن قال: نعم.

= نقول له: إذن عدم معرفتك للحكمة لا يدل على عدم وجودها بل يدل فقط على عدم معرفتك لها لأن الإنسان لا يعلم الحكمة من كل شيء بالضرورة.

- وإن قال: لا أثبت صفة الحكمة!

فهنا طريقان للرد:

إما أن نثبت له صفة الحكمة أو نرد عليه ونقول: لو كان وجود الشر ينفي صفة الحكمة فوجود الخير يثبت وجودها.

فهذه الردود كلها تعتمد على معرفة معتقد المخالف.

وهناك بعض المخالفين يرفضون الإفصاح عن اعتقادهم.

- فيقول اللا-ديني: «مالك بمعتقدي» ...؟ جاوب الشبهة وفقط.!

=فيقال له: معتقدي لا يرى هذا الأمر شبهة.

فأن تبين لي معتقدك أفهم على أساسه هل يحق لك أن تعتبر هذا الأمر شبهة أم لا؟

وهذا يستعمل في الشبهات الأخلاقية كذلك فالملحد ليس لديه مرجعية أخلاقية ثابتة، والأخلاق عنده نسبية فلا يوجد شيء أخلاقي ١٠٠٪ حسب اعتقاده فلا يحق له قطعا أن يدعي أن هناك خطأ أخلاقياً في الدين.

خلافاً للنصارى، فيحق لهم الاعتراض من باب أن عندهم الأخلاق منها ما هو قطعي يقيني أنه أخلاقي أو غير أخلاقي والتأصيل والتفصيل في كل مسألة يبنى على معرفة معتقد الأخر لنستطيع إلزامه بمعتقده أولاً وكذلك لنبين له أن معتقدنا سليم حسب الأصول المشتركة بيننا وبينه، مثال هذا:

أناقش ملحدا حول وجود خالق، فإن كان يعتقد هذا الملحد بحجية العقل، فبناء عليه أستطيع إثبات وجود خالق بناء على المشترك بيني وبينه وهو أن العقل مصدرا من مصادر المعرفة، وألزمه بأن الإلحاد مخالف للعقل بالأدلة العقلية، فهنا قيمة معرفة معتقد المخالف.

ومن اعتراضاتهم كذلك أن الإلحاد لا يقال عنه معتقد وهنا يرد برد إلزامي وأخر تقريري.

= أما الإلزامي[١] فيقال لهم: هذا دليل العدمية فأنت تدعوني لأترك ديني لأجل لا شيء بالفعل!

= وأما الرد التقريري[٢] فهو أن نبين له أنه كملحد يعتقد أن الدين خطأ وأن المادة صنعت كل شيء وهذا كاصطلاح يسمى معتقد.

ولا تقف في هذا معه كثيراً بل بين له ثم انتقل إلى نقاش المختلف بين معتقدك ومعتقده.

حيث أن العبرة بالهداية لا بكثرة الإلزام فيما ينفع ولا ينفع.

* * *

(١) شرح الدليل الإلزامي : وهو الدليل الذي تلزم مخالفك فيه بما يترتب على قوله عند فرض صحة معتقده ، مثل قول الملحد الأخلاق نسبية ، فنحن نرفض هذا كمسلمين، لكن نلزم الملحد بمعتقده فنقول له لو أن الأخلاق نسبية فلازم هذا أنك لا يحق لك الاعتراض على أي مسألة في الشرع تدعي فيها مخالفة أخلاقية.

(٢) شرح الدليل التقريري: التقرير هو أن تبين معتقدك وحججك في المسألة بكلام تلتزمه أنت، مثل لو قال المؤمن للملحد، الكون له بداية إذن لابد له من خالق

فهذا نلزم الملحد به ونحن نعتقد صحة اللازم فيه وهو وجود خالق والملزوم وهو بداية الكون واحتياجه إلى خالق.

مبحث
مصادر المعرفة

بعد معرفة معتقد اللا-ديني نبدأ معه حسب اعتقاده.

فإن كان ملحدا أو لا-أدري نبدأ معه بمصادر المعرفة.

وإن كان ربوبيا نبدأ معه بسؤال.. ما هي صفات ربك؟

حتى نعلم في ماذا نشترك ونختلف معهم في الاعتقاد وبناء عليه نسيّر النقاش بمنهجية سليمة.

والآن نشرح مصادر المعرفة ثم نبين ما أهمية معرفة مصادر المعرفة.

ومصادر المعرفة هي المصادر التي يُعتَمد عليها في إدراك الشيء على حقيقته[١].

وهي ثلاثة: العقل.. النقل.. الحس.

والمعرفة نوعان:

معرفة صحيحة ومعرفة خاطئة.

والصحيح منها هو معرفة الحق على ما هو عليه إما بالعقل الصريح أو بالنقل الصحيح أو بالحس السالم من الآفة.

والعقل يراد به البديهيات العقلية.

والبديهيات العقلية مثالها أن ١+١=٢

وأن النقيضان لا يجتمعان

---

(١) التعريفات للجرجاني ٢٨٣

مثال: أن نقول: يستحيل وجود زيد وعدم وجوده بنفس الوقت والمكان والنقيضان لا يرتفعان.

مثال: لا يقال: زيد لا داخل البيت ولا خارجه

مثال آخر:

زيد حي وميت، هنا اجتماع نقيضين.

زيد لا حي ولا ميت، هنا ارتفاع نقيضين.

ومن أمثلة البديهيات العقلية مبدأ «السببية» وتعني أن كل شيء مفتقر ناقص يحتاج في وجوده إلى غيره.

وكذلك مبدأ «الهوية» أن الشيء هو نفسه

مثال: السيارة هي السيارة.. والطيارة هي الطيارة وأنت هو أنت!

فمن قال إن السيارة ليست هي السيارة خالف بديهيات العقل

وأما «الخبر الصادق» مثاله: وجود دولة كالهند

فنحن حتى لو لم نسافر إلى دولة الهند لكننا نعلم بالضرورة وجودها عن طريق خبر جماعة من الناس عبر التلفاز أو عبر مواقع التواصل أو بالواقع ممن أخبرونا عن زيارتهم لدولة الهند، وأعلمونا بوجود تلك الدولة.

وأما «الحس» فمثاله: رؤيتك لكلامي هذا وسماعك لصوتك.. إلخ

ومن عادة الملحد أن يدعي أن العلم فقط هو المصدر الوحيد للمعرفة.

والعلم هو ما يتعلق بالحواس فقط عند الملحد فلا يصدق إلا ما يراه أو ما يمكنه أن يراه.

وهذا كله سنبينه[١] بالتفصيل إن شاء الله تعالى.

ومن أهمية هذا أن تعرف هل اللا-أدري كمثال يصدق بحجية العقل والحواس، فنستطيع أن نبين له وجود الله عن طريق ما اتفق معنا فيه؟ وهو العقل أو الحس أو الخبر أو كل هذا.

فالخبر والحس بهم نثبت صحة الرسالة.

والحس والعقل والخبر بهم نستطيع إثبات وجود خالق.

مثال:

أن نثبت بالعقل أن النبي ﷺ صادق

ومن الأخبار التي أخبر بها النبي ﷺ خبر وجود خالق موصوف بصفات الكمال، وعليه فإن وجود خالق صواب.

أما بالحواس فنبين الأدلة العلمية على وجود صانع ومدبر لكوننا هذا وأن كل ما نراه بحواسنا محتاج إلى خالق عليم خبير.

وأما العقل فنبين به ضرورة احتياج المفتقر إلى الغني بذاته

وهو رب العالمين.

* * *

(١) سيذكر المؤلف الرد على هذا في مبحث نقاش مع من يقول لا أصدق إلا العلم

مبحث
ضبط مصادر المعرفة

بعد معرفة مصادر المعرفة وجب ضبط كيفية طرحها على المخالف الملحد أو اللا-أدري وهناك ثلاثة طرق:

الطريق الأول: هو الطريق التقريري: بمعنى أن تقرر معتقدك بمصادر المعرفة وأن تضع أدلة بسيطة تثبتها.

= فتقول الآتي:

أي معرفة قطعية تكون عن طريق مصادر للمعرفة

وهي عندي العقل.. والخبر.. والحس

فمن شك بهذه المصادر فهو مسفسط[١] وأنزه محاوري من أن يكون منهم فإن غاية البعض من ملحدي العرب أن يناظر لأشهر ليثبت أن وجوده ووجود كل شيء حوله ليس قطعيا يقينيا، وأن العقل لا يمكنه أن يصل إلى حقيقة مطلقة.

رغم أن جملة «لا توجد حقيقة مطلقة» لو كانت صحيحة فقد وصلنا بعقولنا لحقيقة بالفعل! وبالتالي ثبت خطأ هذه الجملة.

ولو كانت خاطئة فهو المطلوب.

وهذا الذي يسمى بالدليل المركب[٢]

لأنه مبني على افتراض باطل، مثل افتراض أنه لا يمكن الوصول إلى أي حقيقة.

---

(١) المسفسط هو الذي ينفي الحقائق كلها سواء كانت عقلية أو حسية أو خبرية

(٢) الدليل المركب أو السؤال الملغوم وهو الذي إن أجاب المخالف قال المخالف نعم بطل مذهبه ولو قال لا بطل مذهبه

وإن التعامل الأمثل مع من يشكك بالحواس مطلقا كما قال بعض العلماء عنهم بأنه يُضرَب أحدهم ويُجلد حتى يتيقن من أنه يحس.

وأما الخبر فكما نعلم بوجود بلاد الهند مع أننا لم نسافر إليها وغير ذلك كثير من الأمثلة.

وأما الاحتجاج بالعقل.. خاصة البديهيات العقلية

فإثباته يسير، فمثلا لو ثبت أني قتلت شخصا دون أي مرض بي أو دون دفاع عن النفس.. فسأكون مدانا.. ولو ثبت أني قتلته لا يصح أن أقول للقاضي أني قتلته ولم أقتله معاً.

حيث أن النقيضين لا يجتمعان ولا يرتفعان.

فالعقل الصريح حجة، والحس السليم حجة، والخبر الصادق حجة،

= فهل تتفق؟

انتهى.

هنا طريق أول: تقرر به ما تعتقد وتبين له أن منكر هذا مسفسط وهذا يؤثر بنفسية الملحد كمتلقي حيث أنه يعلم أنه لو خالف ضروريات العقل والحس والخبر سيكون بالفعل مخالفا لكل شيء صحيح.

وهذا الطريق الأول نستعمله عندما نريد أن نبين الصواب للطرف الآخر مباشرة دون جدال.

الطريق الثاني في بداية المناظرة تقول له:

مصادر المعرفة عندي هي: العقل، الخبر، الحواس.

وهنا نحن لم نضع تفصيلا يشرح وجوب اعتماد العقل والحس والخبر في معرفة الأمور.

وهذا الطريق مهم حتى تعرف معتقد المحاور بمصادر المعرفة قبل أن تضع له أي دليل حتى تعلم معتقده في هذا المبحث قبل أن يتأثر بالحجج التي ستبينها له.

فهناك مخالف تضع له الحجة فيقتنع رغم أنه كان لا يعتقد بها

وهنا لو أنت كمحاور مسلم أردت أن تعرف "هل المخالف يخالفك بمصادر المعرفة أم لا"...؟

فلتبدأ معه بإخباره عن معتقدك بدون تفصيل كما بهذا الطريق حتى تعلم مفهومه في مصادر المعرفة

بخلاف الطريق الأول الذي غايته أن تقنعه مباشرة دون أن تعلم إن كان مخالفا في مصادر المعرفة أم لا.

الطريق الثالث أن تقول:

ما مصادر المعرفة عندك؟

وفي هذا الطريق لن تكتب أي شيء بل فقط سؤالا واحدا

وسبب هذا السؤال أن تعرف محاورك المخالف هل يفهم أصلا مصادر المعرفة وبحث في هذا المبحث من قبل أم لا؟

- فإن رد وقال: مصادر المعرفة عندي جوجل أو اليوتيوب.. نعرف أنه لا يفهم سؤالك حتى.. فتبدأ تبين له.

- أما إن قال: مصادر المعرفة عندي العقل فقط أو الحواس فقط أو الثلاثة مصادر كما يقول عامة العقلاء.

فهذا نعلم أنه يفهم ما يناقش حوله.

وأنت كمسلم مخير، تبدأ بالكيفية التي ترى أنها أنفع لك ولمحاورك.

وأما رأيي فإن كنت تناظر شخصا أمام جمهور واسع فعليك أن تبدأ بتفصيل تام حتى ينتفع المتابع.

أما إن كان على الخاص فعليك أن تبدأ بالطريق الثاني أو الثالث كما تحب.

والله أعلم.

* * *

مبحث
الاعتراضات حول الخبر كمصدر للمعرفة والرد عليها

وهنا سأضع اعتراضات الملحد كنقاش بيننا وبينه.

الاعتراض الاول:

– قال: أنا لا أصدق أن الخبر مصدر من مصادر المعرفة

بل أصدق العلم والعقل فقط

= قلت: أنت هنا وقعت بعدة مغالطات.

الأُولى: أنت تدعي أنك تتبع العلم والعلم نعرفه بالحواس والخبر

فمعظم العلوم التي نعرفها لم نشاهدها نحن بل شاهدها العلماء وصدقناهم في خبرهم كمعظم العلوم الطبية والفيزيائية

وثاني مغالطة: أنت تنكر أن الخبر مصدر من مصادر المعرفة، لكنك تتعامل به حتى بحديثك معي.

فأنت ((أخبرتني)) أنك لا تصدق الخبر وأردت مني أن أصدق خبرك لي، ولم يخطر بذهنك أنني لن أصدقك لأن تصديق خبر مثل هذا ضروري فتأمل.

وقولك عن نفسك أنك لا تصدق الخبر هو بنفسه إخبار منك عن نفسك لي.

فإن كان الخبر مصدراً للمعرفة فمعتقدك خاطئ..

وإن لم يكن مصدراً للمعرفة فلن أصدق خبرك بأنك تنكر الخبر.

فأثبت لي بالعلم والعقل أنك لا تصدق الخبر طالما ادعيتَ أنك لا تصدق شيئا إلا بالعلم والعقل.

وهذا لا يجد له الملحد مفرا.

الاعتراض الثاني:

- قال: نعم أنا أصدق خبر العلماء وخبر من يدعي وجود دولة كالصين والهند.

لكن هذا أمر عادي لا يتعلق به جنة ولا نار خلافاً لخبر الإسلام المتعلق بتصديقه الجنة وبتكذيبه النار

= قلت وهذا خارج محل النزاع، فقد أحتج بالخبر على وجود الله مثل خبر علماء الطب بالتعقيد الموجود بالخلية الحية أو خبر عالم فيزيائي بحدوث الكون بالبيغ بانغ. إلخ

وإن كان الخبر حجة فسينطبق في كل شيء، وإن لم يكن حجة فلا ينطبق على أي شيء.

وبيان هذا أن يقال:

= لو أن خبر العلماء يجوز أن يكون يقينيا، فقد أخبرونا عن تعقيد الكون وبدايته! مما يثبت وجود خالق للكون.

ولو أن مجرد خبرهم عن تجاربهم ونتائجها لا يمكن بأن يكون يقينيا، فأنت عند التحقيق لا تصدق العلوم كما ادعيت زورا.

• **تنبيه:**

الخبر الصادق حجة على كل حال ويحدث به علم يقيني

مثاله: إخبار الناس بشعورهم بالحر في فصل الصيف

فنحن نعلم بالضرورة صدقهم ونعلم بأن ليس أنا فقط من أشعر بشدة الحرارة وهذه معرفة ضرورية لا تستطيع دفعها عن نفسك.

لذا يقال إن الإنسان لكي يلحد عليه أن يخالف الضروريات التي لا يمكن دفعها عن النفس إلا باتباع الهوى والله المستعان!

واعتراضهم الأخير:

-أن يقول: أنا أصدق مثلا نظرية التطور وبقية أخبار العلماء لأنني أستطيع أن أجربها أو أشاهدها أما أخبار النبوة فلا أستطيع.

= فنقول له:

إن اجتمع الأعداء على نقل خبر واحد يرجع إلى أمر مشاهد لهم وليس لهم منفعة بذلك الخبر بل أحدهم يضره نقل هذا الخبر.

ممتنع عقلا ألا يكون خبرهم صحيحاً لو كانوا جمعا غفيرا.

وهذا نشرحه[1] أكثر عند إثبات صحة الرسالة إن شاء الله تعالى لكني أذكره هنا حتى تعلم أسئلتهم التي يطرحونها.

= ثم نلزمه فنقول له:

كونك لم تجرب بعد فهذا دليل قاطع على أنك لم تتيقن بعد..

فإما أن تجربتك للخبر العلمي واجبة لكي تعلم صحته، فهنا أنت لم تجرب حتى تعلم صحة الخبر، فحينها نعود إلى أنك لا تصدق أي خبر علمي سواء يمكنك تجربته أم لا.

أو أن تجربتك ليست مهمة ومن الممكن أن تتيقن من صدق الخبر دون تجربة..

وهنا أنت خالفت نفسك، فيصح أن أصدق الخبر ولو لم أجربه أو لم أشاهده، وهو المطلوب.

---

(١) سيأتي في مبحث الحجج القطعية على إثبات تواتر القرآن

• **تنبيه:**

يمكنك ألا تناقش حجية الخبر لو كنت ستثبت وجود الله عقلاً أو بالفطرة.

وتؤجل حجية الخبر عندما تصل إلى صحة الرسالة..

وهذا سينفعك لأنه كلما احتج عليك الملحد بنظرية علمية ستقول له هذا خبر وأنت تنكره..

وبهذا تلزمه بمعتقده.

وسنبين[1] إن شاء الله تعالى أن لا حجة علمية واحدة لهم لاحقاً في هذا الكتاب.

• **تنبيه آخر:**

عندما تثبت حجية الخبر ضع أمثلة بسيطة يقتنع بها ويفهمها كل الناس.

مثال وجود دولة كالهند أو وجود أقمار صناعية

أما الحجة الملزمة له التي بينتها بالأعلى وهي حجة أن تقول له إنكارك للخبر هو خبر فأنا لن أصدقه لو أنكرت الخبر مثلك!

فهذه حجة صعبة رغم أنها أقوى، والصواب أن تبدأ بالمفهوم القوي أفضل من الحجج الصعبة التي تحتاج إلى شرح مطول ولو كانت أقوى.

وهذا منهج مهم تعامل به تنفع وتنتفع إن شاء الله تعالى.

* * *

(١) ويأتي تفصيله في عدة مباحث قريباً

مبحث
النقاش مع منكري البديهيات العقلية
مبحث الحقيقة المطلقة

وهذا مبحث عظيم نفعه ومهم معرفة رده بتوفيق رب العالمين.

أغلب من ينكر البديهيات يدعي أنه لا-أدري

وهذا يدعي أنه لا يعرف أي شيء.

أما الملحدون فمنهم من يقول هذا كذلك ويلزم الملحد أنه لا-أدري وسنبينه لاحقاً إن شاء الله تعالى.

- قالوا: لا نعرف الحقائق المطلقة..

والعقل قاصر على أن يجزم بشيء..

_ومثال الحقيقة المطلقة أن أقول: "أنا موجود"، فهذه عند المخالف اللا-أدري ليست حقيقة مطلقة!

- قالوا: وهذا يندرج تحته السببية وامتناع اجتماع النقيضين وكل شيء، فكل هذا نسبي ولا يمكننا التأكد منه.

- قالوا: وهذا منهجنا الذي ينبغي للكل ألا يتبع غيره.

=قلت: وهذا القول الأخير له سبب، فمن أكبر شبهاتهم أن أهل الأديان يدّعون الحقائق المطلقة...!

وأنا كمسلم متيقن من صحة ديني وكذا النصراني.. إلخ.

فيدعي اللا-أدري أن هذا خطأ ولا يصح أن يدعي أحد امتلاك الحقيقة المطلقة.

وفي معتقده هو لا يقدر أن يدعي الحقيقة المطلقة لأنه نفاها بالفعل.

ثانياً: الملحد واللا-أدري ماديان يصدقان أنهما أتيا من مادة عمياء لا تفرق بين الصواب والخطأ، فادعاء أن الحقيقة المطلقة يمكن أن نعرفها بعقولنا الآتية من مادة عمياء ادعاء ممتنع..

وهذا أقوى ما عندهم في تقرير أدلتهم على هذا المنهج الفاسد..

ويرد على هذا الهذيان من وجوه:

- **الوجه الأول:**

= أن قولك لا يمكن الوصول لحقيقة مطلقة بالعقل إما أن يكون صوابا أو خطأ

فإن كان صوابا فقد وصلت إليه بعقلك بالفعل فجعلت العقل لا يصل لحقيقة مطلقة رغم وصوله

وهذا تناقض ظاهر.

- **ويبينه الوجه الثاني:**

فأنت كملحد، إما أنك تعلم كل شيء أو لا تعلم كل شيء.

فإن كنت تعلم كل شيء لا يصح أن تدعي عدم معرفتك للحقائق المطلقة فمن يعلم كل شيء فهو يعلم أنه يعلم كل شيء.

وتلك حقيقة مطلقة لأنه يعلمها بيقين.

وإن ادعيت أنك لا تعلم كل شيء فأنت علمت هذا.

وأي عاقل يعرف هذا، فمثلا، لا يوجد ممن يقرأ كلامي الآن من هو غير متيقن أنه لا يعلم كل شيء، بل أن كل من يقرأ كلامي متيقن من أن هناك مسائل يجهلها! وهذه حقيقة وصلنا إليها بالفعل.

فهذا إن دل فيدل على ظلام طريق هؤلاء، فتأمل.

فالملحد يعلم أنه لا يعلم كل شيء وهذا بحد ذاته أمر صحيح يعلمه، وهو المطلوب.

ثم نلزمه فنقول له:

= ممتاز، فأنت تقر معي بأنك تعرف حقائق بشكل يقيني.

– فإن قال: بل لا أقر بهذا

= قلنا له: ممتاز تقر، بهذا مجدداً...!

– فيقول: ألا تعقل؟! بل أنا لا أقر بأن العقل يصل لحقائق مطلقة

= فنقول له: إذن، أنت متيقن أنك تنكر الحقائق المطلقة...! وهذا بحد ذاته حقيقة مطلقة داخلك.

فأنت تعلم أنك تنكرها وعلمك هذا حقيقي.

بل وأنت تدعي أنك تشك في كل شيء، فلو ادعيت أنك غير متأكد من شكك هذا فأنت كاذب وكذبك ظاهر بالضرورة، فلو قلت بأنك متيقن من أنك تشك

فقد وصلت لليقين فثبت بطلان قولك القبيح هذا.

وهربوا من هذا بردود ضعيفة كمعتقدهم

– قالوا: نحن لا نعلم الحقائق لكن عندنا غالب الظن

ووضعوا مثالا على هذا..

– قالوا: نحن لا نتيقن أننا موجودون بالفعل..

لكن بنسبة ٩٩٪ نصدق بهذا فنتعامل على أساسه..

= ويرد على هذا بإلزام فيقال له: قولك أن غالب الظن عندك أنك موجود.

هو حقيقة مطلقة متيقن منها أم لا؟

– ولبجاحة الملحد، يقول: لا بل أنا كذلك أظن أني أظن أني اظن أني موجود إلى ما لا نهاية..

وهذه سفسطة ظاهرة وترك للعقل وكذب على النفس ظاهر، فنحن نعلم أنه يثق من أنه يظن ولكن العناد يعمي، ومع هذا نلزمه بهذا كذلك.

= فيقال له: حسناً سلمت لك بأنه لا توجد حقيقة مطلقة.

لكنك لا تصدق تسليمي هذا لك بل تظن فقط لأنك ادعيت أنك لا تصدق شيئا بيقين أصلا.

بل وتظن أنك تظن أني صادق إلى ما لا نهاية من الظنون

وبهذا يتوقف تصديقك لموافقتي لك بنفي الحقائق المطلقة على انتهاء ما لا نهاية من الظنون وانتهاء ما لا نهاية تناقض.

وهذا معناه أنك لن تصدق أني وافقتك مطلقاً فتأمل هذا!

وأنت ادعيت أن التناقض مع أنه ليس مستحيلاً ١٠٠٪ لكنه أغلب الظن فيه أنه مستحيل.

فتقع في المحظور فأنت ادعيت أنك تقر باستحالة التناقض بغالب الظن وأنت قلت إنك لا تصدق شيئا بيقين، فيستحيل أن تكون مصدقا بيقين وغير مصدق بيقين حسب ظنك فلن تستطيع تصديق تسليمي لك مطلقا وهو المطلوب.

ونقول نفس الإلزام كذلك في ادعائه "لا توجد حقيقة مطلقة" فأنت تدعي أنك تظن هذا القول ولست متأكدا منه وتظن أنك تظن هذا إلى ما لا نهاية فصحة ظنك متوقفة على انتهاء مالانهاية.. وهذا

تناقض وهذا لأنك لن تصدق أنك تظن لأن التصديق واليقين ملغي عندك فتبقى تظن وتظن وتظن بلا يقين والحمد لله الذي عافانا.

وادعيت أنك تصدق استحالة اجتماع النقيضين بنسبة ٩٩٪ فيكون بغالب الظن أنك لم تظن أصلاً وهذا لأن التيقن من أنك تظن يتوقف على انتهاء هذه الظنون لأن وجود الظن والظن أنك تظن إلى ما لا نهاية يقودنا للتناقض وأنت بغالب ظنك لا تصدق التناقض فبغالب ظنك لا تظن أنك تظن أصلا! وهو المطلوب.

= ثم نلزمهم إلزاما آخر فيقال: هل وصول العقل لأي حقيقة مطلقة مثل وصول عقلك إلى حقيقة أنك كقارئ تقرأ كلامي مثلا، يحتاج إلى دليل؟

- فإن قال: نعم..

= قلنا له: وما دليلك أنها تحتاج إلى دليل؟

ولن يعطي دليلا على هذا فيقف حائرا أكثر من حيرته الأولى وسيعلم في نفسه أنه حائر لا حجة معه فالصادق منهم يعلم فساد مذهب اللا-أدرية واللا-أدري المتعبد للا-أدريته سيبقى يقول لنفسه: هل أنا حائر وأعرف أني حائر أم حائر ولا أعرف أني حائر؟! وهذا المرض إنما وُجِد لنحمد الله على نعمة الإسلام..

• قال تعالى:

﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا ۚ إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [يونس ٣٦].

* * *

مبحث
النقاش مع منكري البديهيات العقلية
مبحث السببية

أما السببية فأقوى اصطلاح لها أن كل شيء حادث موجود وجودا حقيقيا، فهو مفتقر إلى مُحدِث.

والحادث معناه: الذي له بداية.

والمُحدِث معناه: المسبِّب.

والسببية بديهة عقلية.

ولهم في السببية عدة اعتراضات:

وأول خلطهم بها قولهم: "أن السببية معناها أن لكل شيء سبب".

وقالوا: "فالسببية ضدك كمؤمن".

لأن بهذا يجب أن تقول إن الله له مسبب كذلك.!

فيرد عليهم بوجهين:

- الوجه الأول:

= أن يقال: هذا ليس تعريفا صحيحاً للسببية، ونحن نتفق معكم على أن هذا التعريف مستحيل، لأنه لو احتاج كل شيء إلى مسبب، فالمسبب يحتاج إلى مسبب وكل خالق سيكون له خالق إلى ما لا نهاية.

ويكون حينها وجود البشر متعلقا بانتهاء ما لا نهاية من المسببين

وانتهاء ما لا نهاية تناقض.

فالتعريف خاطئ، وأن يقال "للخالق خالق ولخالقه خالق" إلى ما لا نهاية فهذا قول ممتنع عقلا.

والصواب أن المسببات تنتهي لمسبب أول ليس له بداية وليس مسبوقا بغيره.

فتكون السببية أن لكل شيء له بداية قائم بنفسه كالإنسان، فلابد له من مسبب وهنا نشير إلى نقطة هامة فيقال:

* الممكن الوجود كالإنسان والحيوان بل وكل شيء له بداية، هو ما أمكن وجوده وأمكن عدم وجوده، فوجب وجود مسبب يرجح كفة وجوده على كفة عدم وجوده.

لذا يستحيل وجود شيء له بداية بدون مسبب، فالأصل في الشيء الذي له بداية هو عدم الوجود، ككلامي هذا، كان غير موجود ويستحيل وجوده دون مرجح أو مسبب أو كاتب يرجح كفة وجوده على كفة عدم وجوده.

* أما المسبب الأول: فواجب الوجود.

وجوده واجب وعدمه مستحيل فلا يحتاج إلى شيء يسبب وجوده بعد العدم لأن عدمه مستحيل في حقيقة ذاته أصلا ولم يكن قط غير موجود[1].

- ثم يقول الملحد: العلم أثبت وجود أشياء بلا سبب..

واحتجوا لإثبات هذا بنظريات في فيزياء الكم بحجج تدل على عدم فهمهم لفيزياء الكم فضلا عن فهمهم للقواعد العقلية.

(١) قال الشهرستاني في الملل والنحل : واجب الوجود معناه أنه ضروري الوجود، وممكن الوجود معناه أنه ليس فيه ضرورة لا في وجوده ولا في عدمه٣/ ٢٦

ولن نخوض بنظريات فيزياء الكم الآن ولها تفصيل[١] قادم إن شاء الله تعالى.

وهنا نرد عليهم ردا إجماليا:

= فيقال: عدم معرفة السبب لا يعني عدم وجود سبب بل يعني فقط عدم معرفة السبب.

ومثال ذلك أنك لو رأيت سيارة حديثة جدا لم ترها من قبل أمام منزلك، فعدم معرفتك لسبب وجودها أمام منزلك لا يعني أنها وجدت هكذا دون سبب.!

ولا يمكن لعاقل أن يقول هذا بل هذا اجتماع بين نقيضين

فلو كان كل ما لا نعرف سبب وجوده يكون وجوده بلا سبب!

فعلى هذا لو أن زيدا يعرف سبب وجود السيارة وأنت لا تعرف سبب وجود السيارة وعلى قول الملحد فما نعرف سببه له سبب وما لا نعرف سببه فليس له سبب لقلنا إن وجود السيارة له سبب وليس له سبب كذلك بنفس الوقت فتأمل هذا القول كيف يبعد عن العقل والفطرة السليمة.

بل لعل قائلا يقول لك: إن العلماء اكتشفوا أسبابا لأشياء لم يكونوا على علم بها.

فكأنك تقول إن هذه الأشياء كانت بلا سبب مطلقاً لأن الناس كانوا يجهلون السبب، والعلماء يكذبون علينا فقالوا اكتشفنا أن لهذه الظواهر الطبيعية أسباب!

أو تقول لها أسباب لأنهم اكتشفوا هذا وليس لها أسباب لأن الناس كانت تجهل أسباب هذه الظواهر وما لا نعرف سببه فليس له سبب، فتجمع بين المتناقضات مجددا.

---

(١) سيأتي مبحث التعريف بفيزياء الكم وعلاقة الملحد بها وانظر ما بعده أيضا

فإما أن تشكك في العلم أو تشكك في العقل، والله الموفق.

وأما الرد التفصيلي:

= أن يقال: إن ما ادعيتم فيه أنه يحدث بلا سبب هو يحدث في كوننا بالفعل.

مثال: ظهور جسيمات ادعوا أنها ظهرت بلا سبب.

= فيقال: إنما تلك الجسيمات ظهرت في الزمان والمكان ويستحيل وجودها فيزيائيا من دون الحيز المكاني الذي تتواجد فيه

فظهر احتياج وجودها إلى الزمان والمكان.

والسببية عبارة عن افتقار شيء لشيء أخر.

والجسيمات تفتقر للزمان والمكان مما يثبت أن لها سبب

وهذا له تفصيل[1] أكبر قادم بمبحث احتجاجهم بفيزياء الكم إن شاء الله تعالى.

أما الرد العقلي:

= فيقال: إن أصل العلوم الفيزيائية هو العقل، فلو قدحنا بالسببية سنشكك بالعقل، ولو قدحنا في العقل سنشكك في أصل علم الفيزياء

والقدح في الأصل هو قدح في الفرع كذلك، وبدون السببية لن نعرف فيزياء الكم فإن قدحنا في السببية سنقدح تباعا في سبب معرفتنا لفيزياء الكم.

فلا يحق لك الاحتجاج بفيزياء الكم على شيء أصلا فضلا عن أن تحتج بها لنفي البديهيات العقلية.

ولن يصبح للفرع حجة والفرع هنا هو فيزياء الكم لذا من قدح في السببية فقد قدح في الشيء الذي به نعرف فيزياء الكم، ولو بطلت

(١) سيأتي في مبحث الرد على شبهة أن فيزياء الكم تنفي السببية

السببية بطلت فيزياء الكم، لأنه يستحيل إثبات شيء في فيزياء الكم إلا لو كانت السببية حقيقة مطلقة.

فالحق أن الملحد قدح في دليله وهو فيزياء الكم الذي قدح به في السببية، فثبت أن دليله الوحيد الذي يقدح في السببية باطل، وهو المطلوب.

وأما قولهم إن السببية بديهة والبديهة عرفناها بالاستقراء أو بالمشاهدة مثل شعورنا بالبرد بسبب الشتاء..

= فنقول له: أنت تدعي أنك علمت البديهة بسبب المشاهدة.

فكيف علمنا أننا نشاهد الواقع؟ كذلك بالبديهة مثل مبدأ الهوية فأنت تعلم أن السيارة سيارة وليست طيارة!

وهذه بديهة عقلية.

مما يعني أننا علمنا المشاهدة بالبديهة خلافا لقولهم إننا علمنا البديهة بالاستقراء.

فتبين لنا أن السببية مبدأ عقلي يقيني والقدح في المبادئ العقلية قدح في كل شيء والله المستعان.

وبهذا يتبين عدم فهم الملحد لقول المسلم ولا حجته بل ويتبين كيف أن هؤلاء حاربوا العقل كما حاربوا النقل.

• قال تعالى:

﴿وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك ١٠].

* * *

مبحث
النقاش مع منكري البديهيات العقلية
امتناع اجتماع النقيضين

استمرارا لقدح اللا-دينين في العقل شككوا في مبدأ امتناع اجماع النقيضين.

والنقيضان هما النفي والإثبات..

مثل أن يقال: زيد حي، هنا أثبتنا له الحياة

زيد ليس حياً، هنا نفينا عنه الحياة.

والامثلة كثيرة:

مثل أن يقال: زيد قادر على السفر، أو زيد لا يقدر على السفر

والملحد أجاز اجتماع النقيضين..

- قالوا: نحن نعلم امتناع اجتماع النقيضين بالشاهد فقط من الأشياء التي نشاهدها حولنا فنعم نحن لا نرى إنسانا موجودا وغير موجود بنفس الوقت.

– قالوا: ونحن أثبتنا جواز اجتماع النقيضين بفيزياء الكم أي فيزياء الجسيمات الأصغر من الذرة.

= وهذا الهذيان يرد عليه من عدة اوجه:

- الوجه الأول:

= أن يقال: فيزياء الكم فيزياء احتمالية بالاتفاق، وأنت جزمت بأن الإلكترون يجتمع فيه النقيضان وهذا الجزم مخالف لفيزياء الكم.

وتفصيل هذا بشرح شبهاتهم في فيزياء الكم وتوضيح ضعف الملحد بها.

ثم نرد عقلا:

= فيقال: قولك هذا يحتمل الصواب ويحتمل الخطأ

فإن كان قولك "يجوز اجتماع النقيضين" صوابا..

فبالتالي كأنك تقول: "مستحيل اجتماع النقيضين"

لأنه يجوز عندك أن يكون مستحيلا اجتماع النقيضين ولا يستحيل اجتماع النقيضين بنفس الوقت..

وفضلا عن أن هذا مخالف للعقول فإنه أيضا حجة ضدك كملحد

وليتبين الأمر أكثر..

– إن قال الملحد: "لا يستحيل اجتماع النقيضين".

= نقول له: هل ممكن أن يكون اجتماع النقيضين مستحيلا وغير مستحيل في نفس الوقت؟

– إن قال: ممكن، فهنا هو لم ينفِ قولي إن اجتماع النقيضين مستحيل بالفعل.. فقولي مازال قائما.

- وإن قال: لا يمكن، خالف نفسه.

وهذا لا محيد له عنه يلزمه، وهو حق ظاهر فإن أجاز الملحد اجتماع النقيضين لا يستطيع بعدها إثبات خطأِ قولي بامتناع اجتماع النقيضين، وهو المطلوب.

ثم لهم طريق آخر..

– فيقول: ما دليلك على أن اجتماع النقيضين مستحيل؟

= فالرد هنا أن يقال: المعارف الضرورية لا تحتاج إلى دليل غير نفسها لأننا إن احتجنا إلى دليل فالدليل يحتاج إلى دليل إلى ما لا نهاية.

وهذا يوقف احتمال معرفة أي شيء.

فوجب الرجوع لمعرفة ضرورية بنفس كل إنسان دليلها في نفسها

= كذلك أن يقال: اجتماع النقيضين ممتنع التصور، فلا يمكن أن نتصور وجوده بالحقيقة، فلا يمكنك أن تتصور وجود زيد وعدم وجوده بنفس الغرفة! "نعم" يمكن أن يقال بأنك تتصور عدم وجود زيد في غرفته وتتصور وجوده في غرفة أخرى، لكن هنا اختلف المكان فلا تناقض أصلا.

ويمكنك أن تتصور وجود زيد الآن في الغرفة وعدم وجوده فيها بعدها، لكن هنا اختلف الزمان.

أما أن يقال بأنه موجود وغير موجود بنفس الغرفة وبنفس الوقت فهذا هو التناقض وهو الذي يمتنع تصور وجوده.

- الوجه الثالث:

= أن يقال: نحن نعلم أن اجتماع النقيضين معدوم

والعدم أو اللا شيء، ممتنع وجوده.

- الوجه الرابع:

= أن يقال: لو كان اجتماع النقيضين جائزا لأمكن أن يكون جائزا وغير جائز في نفس الوقت وهذا مستحيل عند كل عاقل.

= ثم يقال لهذا التارك للعقل والدين:

أنت عرفت جواز اجتماع النقيضين بماذا؟ بالعقل أم بالحس؟

- إن قال بالعقل فهو كاذب، فالعقل هو من حكم بامتناع اجتماع النقيضين.

- ولو قال بالحس، فالحس أكبر شاهد على امتناع اجتماع النقيضين فلا نرى بالواقع كائنا حيا وميتا بنفس الوقت.

وعنده حل واحد فقط يمكن فيه اجتماع النقيضين وهو أن يعترف ويقول إنه عرف هذا بالهوى وحينها فقط يمكن أن يكون مصيباً.

ثم نلزمه بادعائه جواز اجتماع النقيضين، فأي تناقض تظنه وتدعيه كملحد بين الدين والعلم فهو جائز.

وذات مرة ناظرت أحدهم فقال لي: هل الله قادر على أن يخلق مخلوقا مثله؟

– قال: فإن كان قادرا فهذا تناقض.. كيف له أن يخلق مخلوقا مثله والله غير مخلوق والمخلوق مخلوق؟

وإن كان غير قادر.. كان هذا عجزا..

= فقلت له: الإجابتان ضدك.

– قال: كيف؟

= قلت: لأنك قلت لي من قبل أنه يجوز اجتماع النقيضين.

فيمكن أن يخلق مخلوقا مثله وفي نفس الوقت لا يقدر على أن يخلق مخلوقا مثله.. وهذا تناقض وأنت قلت إن اجتماع النقيضين ممكن.

أما لو قلت لك نعم مستحيل أن يخلق مخلوقا مثله وهو قولنا..

لأن اجتماع النقيضين لا شيء في الواقع وهو عدم.

والله قادر على خلق كل شيء ولا يقال إنه قادر على خلق اللا شيء فلا تناقض أصلا.

وهذا المثال وضعته لأبين منه ردي الأول فالملحد يريد أن ينفي قدرة الله بامتناع اجتماع النقيضين.

رغم أنه يقنع نفسه بجواز اجتماع النقيضين!

وهذا هو الهوى المذل للنفس فانظر إلى حاله وقد أعجز نفسه عن أي رد!

والله الموفق.

* * *

مبحث
النقاش مع منكري البديهيات
هل البديهيات العقلية تعمل خارج الكون؟

وبعد أن ألزمناهم بالسببية والحقائق المطلقة وامتناع اجتماع النقيضين..

– يقول الملحد: اتفقت معك على أن البديهيات العقلية صواب

لكن ما الدليل على أنها تعمل خارج الكون؟

وللملحد في هذا قولان:

- الأول أن يقول: هي لا تعمل خارج الكون

- والآخر يقول: لا نعلم هي تعمل خارج كوننا أم لا

ويرد عليهم بالآتي:

= من قال أن البديهيات تحتاج إلى دليل؟

– إن قال: ما دليلك على البديهيات؟

= نقول له:

وما دليلك على أن البديهيات تحتاج إلى دليل اصلا؟

– فإن قال: أعرف انها تحتاج إلى دليل بالبداهة.. ناقض نفسه لأنه هنا احتج بالبديهة بالفعل ولم يجعلها بحاجة إلى دليل.

- ولو قال: كل شيء يحتاج إلى دليل.

= نقول له: وهل مقولتك "كل شيء يحتاج إلى دليل" تحتاج إلى دليل أيضا أم لا؟

– إن قال: لا تحتاج إنما أعرف هذا بالبديهة..

فقد ناقض نفسه فهو يدعي أن كل شيء محتاج إلى دليل.

= ثم نقول له:

أنت تدعي أن مقولة "كل شيء يحتاج إلى دليل" لا تحتاج إلى دليل

وهذا تناقض لأن مقولتك هذه شيء..

فكيف تقول كل شيء يحتاج إلى دليل ومقولتك تلك لا تحتاج إلى دليل؟

فهنا كأنك تقول كل شيء يحتاج إلى دليل وليس كل شيء محتاج إلى دليل وهذا تناقض.

– ثم لو قال: أنا أدعي أن البديهيات كلها تحتاج إلى دليل، واحتياجها إلى دليل لا يحتاج إلى دليل..

= فنقول له: أنت تدعي أن ادعاءك أصلا بديهة.

فقولك إن البديهيات تحتاج إلى دليل واحتياجها إلى دليل بديهة وهذه البديهة لا تحتاج إلى دليل.. تناقض أظهر من الشمس.

= ثم يقال له:

لو عرضنا على العقل أن البديهيات لا تحتاج إلى دليل خارج عنها لأن دليل صحتها ذاتي..

وعرضنا على العقل قولك هذا..

وهو أن البديهيات تحتاج إلى دليل واحتياجها إلى دليل لا يحتاج إلى دليل.. لوجدنا العقل يجزم بقولنا ويرفض ما تقول جملة وتفصيلا.

فنحن نجد العقلاء يسألون عن سبب كل شيء أمامهم..

ولكنهم لا يسألون عن سبب السببية! فظهر أن العقل يجزم بقولنا ويجزم بسخافة قولكم، وهو المطلوب.

والقصد هنا أننا لا نحتاج إلى دليل لنثبت البديهيات داخل كوننا، فكذلك الأمر خارج كوننا.

والعقل الذي لا يتصور اجتماع النقيضين داخل الكون هو نفسه لا يتصور اجتماع النقيضين خارجه.

= ثم يقال بإلزام لا محيد لهم عنه:

أنت تدعي أن معرفتنا للبديهة تحتاج إلى استقراء[1]، بمعنى أننا نحتاج إلى المشاهدة لكي نعرف البديهة..

= فيقال لك: كيف علمت أن ما تراه هو هو، وليس غيره؟

مثال:

= أنت عرفت أن الشمس موجودة.

لكن كيف علمت أن الشمس هي الشمس ليست أنت مثلاً.

= نقول عرفت هذا بالبديهة.

مما يثبت أنك تعرف الشمس بالبديهة ولا تعرف البديهة بالشمس

وهذا ينطبق على كل مثال.

وهناك إلزام آخر نافع جدا في هذا الباب

(١) الاستقراء اصطلاحًا: هو الحكم على كلي لوجوده في أكثر جزئياته، وسمى استقراء؛ لأن مقدماته لا تحصل إلا بتتبع الجزئيات. انظر: التعريفات للجرجاني ص (١٨)، الأخضري في السلم ص (٣٧).

مختصر أصول الفقه لابن اللحام ص (١٦١).

– وقد ناظرت أحدهم في مرة فقال لي بأن البديهيات تعمل في كوننا ولا تعمل خارجه

= فقلت له: دع عنك خارج الكون الآن.

أخبرني كيف علمت بأن البديهيات تعمل قبل وجودك؟

– فسكت لدقيقة ثم قال: لأنه لا يوجد مثلا اجتماع للنقيضين قبل وجودي.

= فقلت له: هذه مصادرة على المطلوب! كيف علمت بأن النقيضين لا يجتمعان قبل وجودك؟

= ثم أثقلت السؤال عليه فقلت له: إما أنك عرفت هذا بالنقل أو بالعقل.

فلو علمتَ هذا بالنقل فيجوز أن يكون ما نقلوه لك صحيحا وخاطئا معا في نفس الوقت لأنك لم تثبت بعد امتناع اجتماع النقيضين قبل وجودك! فكيف تجزم باستحالة هذا الاحتمال يا ترى؟

أما لو أنك عرفته بالعقل، فدلالة العقل على عمل البديهيات قبل وجودك هي بعينها دلالتها على عمل البديهيات قبل الكون.

فسكت ثم قال دعني أفكر!

– ثم قال: قد رصدنا بحواسنا عمل البديهيات قبل وجودي، مثل رصدنا للشمس أنها موجودة قبل وجودي، وهذا ينفي أنها معدومة، ثم لولا وجود البديهيات قبل وجودي لما أمكن وجودي أنا! فلو كانت الشمس موجودة وغير موجودة لما كنت موجودا،

لأن عدم وجود الشمس يستلزم عدم وجود كوكبنا لاحتياج الكوكب إليها فضلا عن احتياج وجودي إليها.

= فقلت له: يا سبحان الله! تحتج بهذا وهو ضدك فكذلك عدم وجود البديهيات قبل الكون تمنع من وجود الكون، فلو جاز وجود كوننا بعد أن كان لا شيء دون أي سبب لأن البديهيات لا تعمل قبل

وجوده حسب معتقدك، فكذلك يجوز وجودك دون أي سبب مطلقا فضلا عن الشمس والقمر!

فاندهش من هذا الرد وصمت عجزا.

= ثم قلت له: أما قولك بأنك رصدت وجود الشمس قبل وجودك، فما المانع من أنها كانت موجودة وغير موجودة

بل ما المانع من أن كل ما اكتشفه العلم، ما المانع أن يكون صحيحا وغير صحيح قبل وجودك؟ فتكون معلوماتك عن كل شيء قبل وجودك غير صحيحة، ولو رصدتها لجواز التناقض وقتها، فأنت لم تثبت امتناع التناقض حسب منهجيتك بعد!

= ثم قلت له: والرصد ليس دليلا لأن رصدك لوجود شيء قبل وجودك لا يمنع من عدم وجوده إلا لو قلت إن ما ثبت وجوده امتنع عدم وجوده.

وهذه قضية عقلية وليست حسية تخضع للرصد.

– فرد قائلا: البديهيات موجودة قبل وجودي في كوننا وهذا لا يحتاج إلى دليل أصلا.

= ثم ألزمته بإلزام أخير فقلت له: لو كان دليل البديهيات خارج عنها، فأنت تحتاج إلى دليل يثبت وجودها قبل وجودك.

ولو كان دليلها ذاتيا، فهي ثابتة سواء بوجودك أو بعدمه وسواء بعد وجود الكون أو قبل وجوده.

لأن البديهيات تنطبق على كل موجود.

وهذا لأنك إما أن تقول إن هناك معارف دليلها ذاتي أو تقول إن كل معرفة تحتاج إلى دليل خارج عنها.

فلو كان دليلها ذاتيا فهو ينطبق على كل موجود داخل الكون أو خارجه.

ولو كانت كل معرفة تحتاج إلى دليل خارجي فالعباد لن يعرفوا شيئا.

فتأمل، لو قيل لك أنك تحتاج إلى دليل يثبت أنك تفكر في كلامي هذا وإلا فأنت لا تفكر فيه، ومهما وضعت من أدلة فكل دليل يحتاج إلى دليل إلى ما لا نهاية.

لأن الملحد المسفسط لا يوجد عنده دليل ذاتي يرجع إليه، خلافاً للعقلاء.

فالعاقل يقول لنفسه: أنا فهمت الكلام هذا لأني قرأته بتركيز، ولا يقول ما دليلي بأني قرأت أصلا!! والعاقل يقول أنا موجود ولا يقول ما دليلي أني موجود! لأن هذا دليله ذاتي.

والعجيب أن الملحد يظن أن نظرية التطور عليها أدلة، ووجوده هو لا دليل عليه، والله المستعان.

– ثم قال لي سأبحث عن رد على هذا، ومن أشهر مرت ذهب ولم يعد، فقاتل الله العناد كيف أعمى أمثال هذا.

نختم (بمثال القاضي):

– إن قال: سلمنا أن البديهة تصح داخل الكون وخارجه، لكن ما دليلك أن الناس كلهم عندهم نفس العلم الضروري بمبدأ السببية والهوية.. إلخ؟

= نعطي مثال القاضي:

فلو أتينا لقاضي بأي دولة بالعالم وقلنا له: "زيد سرق" ورأى القاضي واقعة السرقة بعينه.

سيقول لزيد: أنت سارق.

فإن قال زيد: نعم سرقت ولم أسرق.

سيعدمه القاضي لضعف عقله ولأثره السيء على الناس.

ولو قال للقاضي: السرقة ليست هي السرقة.. حينها سيحمد القاضي ربه على نعمة الدين وأن الله لم يبتليه بالإلحاد.

ومثال القاضي ظاهر، فكل قارئ يعلم بداخله علما ضروريا أنه لا يوجد قاض في العالم سيقبل ادعاء هذا المتهم الملحد المسفسط

لأن العلم الضروري بالسببية والهوية وامتناع النقيضين شيء فطري ضروري يتعامل به كل مخلوق.

والقصد أن البديهة دليل صحتها ذاتي لا يحتاج إلى دليل أخر.. لذا فمن أشنع المقولات مقولة القائل:

" -أنا أفكر إذا أنا موجود"

= فقالوا له: ما دليلك أنك تفكر؟

– فقال: البديهة.

= فقيل له: وكذلك العلم الضروري حاصل بأنك موجود، ولا تحتاج إلى دليل أخر لتثبت وجودك كما أنك لا تحتاج إلى دليل أخر خارجي يثبت لك بأنك تفكر، فلا تحتاج أن تثبت لنفسك أنك موجود كما لا تحتاج أن تثبت لنفسك أنك تفكر.

وهذا معلوم بالضرورة، فهل القارئ لكلامي هذا يشك في أنه يفكر الآن! أو أنه يقرأ!؟

فهذه مسائل ضرورية تعرف صحتها بالبداهة لا تحتاج إلى دليل منفصل.

ومقولة أن كل دليل يحتاج إلى دليل، تقودنا إلى التسلسل اللانهائي

وانتهاء ما لا نهاية من الأدلة ممتنع.

ومن أدل ما يبين فساد قول القائل إن البديهيات تعرف بالمشاهدة فقط، هو أن الإنسان لم يشاهد من قبل كائنا حيا من كوكب آخر.

ومع هذا فنحن نعلم أن هذا ممكن عقلا، والناس لم تشاهد إنسانا يطير، ومع هذا فالإنسان قد يرجو أن يقدر على الطيران دون

طائرة من بلد إلى بلد بمساعدة بعض الأجهزة في المستقبل، مع أن هذا كله لم نشاهده.

والعقل يمنع من وجود إنسان يطير ولا يطير بنفس الوقت.

فيجزم العقل بأن المثال الأول ممكن وقوعه والمثال الأخير يستحيل وقوعه.

وهذا كله مع أن البشر لم يشاهدوا لا هذا ولا ذاك، فحكم العقل اختلف رغم أن حكم عدم المشاهدة واحد، فحكم العقل باستحالة أو إمكان وجود الشيء لا علاقة له بالمشاهدة بحال من الأحوال.

فقد رأيتم كيف نحاول أن نبرهن للملحد أنه يجب عليه أن يثق في عقله لكنه كما ترون يظن نفسه لم يتطور بعد!

•قال تعالى:

﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً صُمُّۢ بُكۡمٌ عُمۡىٌ فَهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴾ [البقرة ١٧١].

* * *

مبحث
الرد على من لا يصدق أن الحس
مصدر للمعرفة

في بداية هذا المبحث أنوه على مسألة لعلك لاحظتها كقارئ،

وهي إلزام المخالف ببيان أدلة أو كيفية وصوله إلى ما يدعي من اعتقاد.

مثاله موضوعنا هذا:

= نسأله: ما دليلك على نفي أن الحواس مصدر للمعرفة؟

(وهذا هامٌ، فكما نفعل في غير هذا الموضع عند مناظرة منكري السنة عندما يقولون نحن لا نحرم شيئا إلا بنص القرآن ولا عبرة لأقوال النبي ﷺ.

– ثم يقولون في موضع آخر بأنهم لا يقبلون زواج الفتاة إلا لو بلغت سن الثامنة عشر.

= فيقال لهم: ما دليلكم من القرآن على تحريم زواج ما دون سن الثامنة عشر؟

وهذا إلزام بمعتقده وكذلك إلزام له بأن يبين صحة إفساده لزواج ما دون سن الثامنة عشر من نفس المصدر الوحيد الذي ارتضاه لنفسه

وإذا تبين لك هذا نعود إلى موضوعنا.(

- قالوا: الحواس لا يمكننا اليقين بها ..

- قالوا: ونحن علمنا هذا لأننا كنا نظن الشمس صغيرة ثم وجدناها كبيرة عند التحقيق.

– قالوا: فهي تبقى نسبية على كل حال، ولا نستطيع الوثوق بها.

= قلت: وسبب هذا خطأ شائع عندهم في عامة مصادر المعرفة، فهؤلاء الملحدون عندما يرون حسا يخطئ، وخبرا لا يصدق، يظنون أن هذا يشمل كل خبر، وكل حس، والصواب أنه كما أن هناك بعض الأخبار الكاذبة فكذلك توجد بعض الأخبار الصادقة، وكما أن هناك حسا يخطئ فكذلك توجد مسائل تعرف بالحواس وصحيحة.

ويرد على دعواهم من وجوه:

- الوجه الأول هو عين مثالهم هذا:

= فهل أنتم علمتم أن الشمس كبيرة بالحواس أم لا؟

فتلك الأجهزة التي علمنا بها حجم الشمس وأن الشمس كبيرة جداً استعملنا، الحواس حتى نرى بها.

فلو كانت الشمس صغيرة فالحواس صادقة.

ولو كانت كما هو معلوم أنها كبيرة، فهناك حس قطعي بالفعل وهو الذي علمنا به هذه المعلومة.

- الوجه الثاني:

= أنت عرفت كبر حجم الشمس بالحواس.

فإن كان هذا صحيحاً كانت حواسك هنا صحيحة، وهو المطلوب.

وإن كان هذا باطلاً كانت شبهتهم باطلة.

= ثم يقال لهم:

هل عرفتم خطأ الحس بالحواس أم بالعقل؟

- إن قالوا: بالعقل.

=قلنا: لا يوجد شيء ينفي حجية الحواس عقلا، بل العقل يحكم بثبوتها، وكما أن العقل يحكم بأنه ما من موجودين إلا وأحدهما داخل الآخر أو خارجه.

فيعلم يقيناً أن الحس لا يرى موجودين إلا وأحدهما داخل الأخر أو خارجه.

فيطابق الحس العقل.

بل يمتنع ألا يطابقه في مثال كهذا أصلاً..

- وإن قالوا: علمنا خطأ الحواس بالحواس.

= فيقال لهم: إما أن قولكم صواب أو خاطئ.

فإن كان صوابا فالحواس التي علمتم بها "خطأ الحواس" هي قطعية كذلك.. لأنكم علمتم بها خطأ الحواس.

وهذا تناقض لأنكم علمتم بها شيئا حقيقيا رغم دعواكم أن الحواس مخطئة لا يعرف بها شيء حقيقي.

- وإن قالوا: هذا مجرد ظن، فنحن قد نرى الشيء وعكسه، مثل "مثال الشمس".

= فيقال لهم: هذا يحدث، والعقل يحكم أيهما القطعي على حسب الأحوال، فنحن نعلم أنه كلما بعد الجسم تراه العين أصغر وكلما اقترب تراه أكبر.

فالعقل علم أن من حدود البصر إن كان سليما فإنه يرى الشيء على حقيقته كلما كان منه أقرب، حتى نصل إلى اليقين.

وكلما كان المنظور إليه أبعد كلما كان اليقين في هذا الحس أبعد. فنحن نعرف الشيء على ما هو عليه لو كانت الحواس سليمة

والأحوال مهيئة لذلك كيقين القارئ من قراءة كلامي هذا وكذلك الأصوات المسموعة..

فكلما كان الصوت المسموع أبعد كلما كان السمع غير واضح.

وفي هذا حجة عظيمة فأنت لو رأيت رجلا يتألم ويصرخ، هل تشك في رؤيتك هذه!! وحسب منهج هؤلاء فقد تقول بأن الحس لا يوثق فيه، فتترك هذا الرجل! بل قد تظن بأن الحس يتوهم والرجل سليم جدا ولا يحتاجك.

وهناك حجة أخرى: الإنسان لو سرق وعلم بأن واقعة السرقة قد تم تصويرها، فهو يتيقن من أن القاضي لو رأى فيديو التصوير سيحكم عليه بالعقوبة، وهذا لثقته التامة من أن حواس القاضي إن كانت سليمة سيعلم أنه سرق! والناس تتعامل بهذا لعلمهم الضروري بصحة هذا كله، فتأمل.

فالحس يشاهد والعقل يحكم بالصحة أو بالخطأ حسب قدرة الحس على رؤية أو سماع الشيء على ما هو عليه، والعقل يعرف ذلك كله.

والعجيب أنني أشرح هذا مع أن الكل يتعامل به ليل نهار أصلا! وهو ضروري بديهي عند كافة العقلاء.

والقصد هنا أنه لا حجة لهم على أي اعتقاد كما نرى، لذا فمثل هذا يمسك ويضرب حتى يعترف أنه يحس ويتيقن ثم بعدها نبدأ بمناظرته.. والله الموفق.

* * *

مبحث
تنبيهات للمؤمن
عندما يسأله اللا–ديني في البديهيات

وفي هذا مسلك عام أردت أن أنبه عليه..

فالمؤمن قد يحاور ملحدا فيسأله الملحد: ما دليلك على صحة البديهيات العقلية؟ ما دليلك عندما تشعر بالتعب بأن شعورك صحيح؟ أو بأنك تشعر أصلا!

والمسلم في هذا الحال مندهش من السؤال! مع علمه بنفسه بأنه على حق، ولكنه لا يعلم كيف يثبت ذلك! مع أن هذه الأشياء هي أظهر الأمور بالنسبة للإنسان.

بل الأعجب من هذا أن المؤمن لو قيل له ما دليلك على تفوقك في الامتحان، لأتى المؤمن بشهادته التي يثبت بها تفوقه..

ثم لو قيل له ما دليلك على أن رؤيتك ورؤيتي للشهادة صحيحة لما عرف كيف يرد!

رغم أن هذا أظهر بكثير من ظهور تفوقه بالامتحان، فيجد نفسه قادرا على وضع أدلة على صحة بعض الأمور الخفية تماماً، ثم لا يعلم دليلا واحدا على صحة أظهر الأمور وهي البديهيات العقلية أو

ما ثبت أنه يشعر به بيقين، كشعور الإنسان بأنه يريد النوم أو شعوره بدوار في الرأس.. إلخ.

ولو فطن المؤمن هنا لعلم بأن هذه الأشياء لشدة ظهورها لم تفتقر إلى دليل خارجي، فالبديهيات يحتج بها لا يحتج عليها.

ولذلك المؤمن وإن لم يعرف هذا التأصيل فقد يسخر من اللا-ديني ويسفه من قوله مع عدم معرفته لهذا التأصيل، لأنها أظهر عند

العقلاء من أن تحتاج إلى دليل خارجي يثبتها، لذا فالضروريات العقلية والحسية يبنى عليها لا يبنى إليها.

وهذا ينطبق على كل المسائل الضرورية، فالظلم مثلا قبيح في ذاته، ولا يمكن لعاقل أن يسأل ما دليلك على أن الظلم قبيح! لأن قبحه معلوم بالضرورة.

• لذا قال تعالى:

﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف ٤٩].

مادحا نفسه بأنه لا يظلم أحدا أبدا، ولو لم يكن الظلم قبيحا في ذاته لما مدح الله نفسه بهذا.

ولأن القرآن كلام الله وجاء مخاطبا للعقول، فقد جاء موافقا للعقل وضروريات العقل، لأن الذي خلق العقل هو الذي أرسل إليه النقل

ويستحيل أن يرسل إليه ما يفسده، فإذا تعارض العقل مع النقل فإما أن النقل لم يثبت أو أن العقل لم يفهم النقل بشكل صحيح.

وأدلة إثبات أن القرآن كلام الله كثيرة وسأذكرها بتفصيل لاحقا إن شاء الله.

والقصد هنا بأن اللا-ديني المنكر للبديهيات قد يضع شبهة يدعي فيها بأن الله عز وجل ظالم حاشاه، ثم لو قيل له ما دليلك بأن الظلم قبيح لا يعرف كيف يرد! وهذا لأن البديهيات لا يستدل عليها بل يستدل بها، ولكن العجب هنا أنه يحتج بالبديهيات فقط عندما يطرح شبهاته! فلو كانت البديهيات بحاجة إلى أدلة..

فمن قال لو أن الدين فيه تناقض أو أن الدين ناقض العقل فبالتالي الدين خطأ! نقول إن كان امتناع التناقض لا دليل عليه كما يعتقد هؤلاء، فلا مانع من

أن نجد تناقضا في الدين ثم نقول بأن الدين المتناقض هذا صحيح، وهذا لنبين لكم اتباع الهوى عند هؤلاء، وإلا فالحمد لله ديننا لا تناقض فيه، وسأذكر بعض ما ظنوا فيه التناقض وأبين قلة تحصيلهم فيه تباعاً إن شاء الله.

وأما مسألة الظلم فكل إنسان يعرف بأنه قبيح، وكل شبهة يظن المخالف أنها تثبت الظلم لله فقد غلط فيها غلطا ظالماً، وسأذكر بعض شبهاتهم في مباحث قادمة بإذن الله.

وإن يسر الله سأكتب كتابا كاملا يتعلق ببيان أن الله لا يتصف بالظلم وسأذكر كل شبهاتهم وأبين أن كل شبهة يذكرها هؤلاء تثبت خلاف ظنهم بأن الله قد يتصف بالظلم، كما سأبين بعض هذا لاحقاً في هذا الكتاب عند ذكر شبهاتهم حول مسألة الظلم إن شاء الله تعالى.

ثم أن هؤلاء يتعاملون بالبديهيات العقلية في نقاش الشبهات فقط، لأن البعض قد يكون جاهلا بمسألة في الدين كما لو قيلت شبهة لغوية يقول صاحبها بأن الدين تناقض مع اللغة، فالمسلم إن لم يتعلم اللغة العربية لن يعرف رد مثل هذا النوع من الشبهات.

ولكن لو ألزمت الملحد بأن العقل يثبت وجود الله والعقل يقطع بصحة التواتر كما سيأتي، ثم أن معجزات النبي متواترة والمعجزة تدل على تأييد الله له فثبت بأنه رسول من عند الله.

فهنا يقول كثير منهم بأنه لا يصدق العقل وكل البراهين العقلية لا دليل عليها!

فأكثر هؤلاء من أهل الأهواء، والباحث منهم سيعود لاتباع الدين يقينا عندما يتعرف على الحجج اليقينية.

والله الموفق.

مبحث
نقاش مع من يقول لا أصدق إلا العلم

وهذا أشهر قول عند الملحد ..

- قالوا: نحن لا نصدق إلا العلم.

- قالوا: ولأن الواقع أثبت أن العلم حاكم ولولاه لما وصلنا إلى كل هذه التطورات..

وأعطوا على هذا حججا :

- قالوا: لو قلنا للعاقل من قرون أن هناك إنسانا سيتواصل مع آخر عبر جهاز -بحجم كف اليد- من بلد إلى بلد لما صدق هذا ..

- قالوا: أما الآن فنحن نرى أن هذا حدث بالفعل فالعلم مقدم على العقل بل ومقدم على الخبر ..

- قالوا: نحن في زمن العلوم .. يمكننا التأكد من كل شيء بالحواس والأجهزة التي تفيد الحواس لنعلم بها صحة الشيء بيقين ..

وهؤلاء ادعوا أن العلم أثبت بعض الأمور .

- فقالوا: والعلم أثبت أزلية الطاقة والمادة.

- وقالوا: إن العلم أثبت أن هناك أكوانا متعددة يمكن أن ينتج منها كوننا هذا بهذا الإحكام دون أن يقال صدفة..

= قلت: وتفصيل قول الملحد هنا أننا ألزمناه أن كوننا هذا منظم جدا.

- فرد علينا وقال: كوننا وسط مليارات الأكوان العشوائية ومن المتوقع أن يخرج من هذا الكم من الأكوان كون منظم..

انتهى.

وهذا كل قول يمكن أن تجدوه منهم في هذا الباب إن شاء الله تعالى، والرد عليه بتفصيل يرد على عامة أفكارهم وحججهم الخاطئة المخالفة للعقلاء كما بيناه ونبينه وسنبينه بتوفيق رب العالمين.

ويرد على هذا الطرح من وجوه :

- الوجه الأول :

= أن يقال: إن طرحكم كله مبني على مقدمة خاطئة ومقدمة غير مسلمة .

أما المقدمة غير المسلمة فالمخالف لم يسلم لكم أن العلم مطلق، ويحق له أن يقول "أن العلم نسبي" فالناس من قبل إن حكمت

بامتناع وجود هواتف نتحدث بها من بلد لآخر، فهؤلاء حكموا بهذا بناء على علومهم في وقتها، فاعتمادهم على النتائج العلمية وقتها كان سبباً في حكمهم هذا، فثبت أن العلم نسبي فكيف جعلته حاكماً على العقل...؟!

وهذا القول وإن كان على غير إطلاقه فإن العلم التجريبي مثله مثل عامة الأمور الأخرى فيه أمور صحيحة كوجود هواتف الآن نتواصل بها..

وفيه أمور خاطئة كمن حكم على امتناع وجود تلك الهواتف قبل عشرة قرون..

وفيه حقائق صحيحة ثابتة، وفيه نظريات تبين غلطها وفسادها مع مرور الوقت.

والقصد أن دعواك كملحد أن العلم تفوق على العقل ضدك، فمن قال بعدم وجود هواتف مستقبلية حكم بهذا بناء على العلم وقتها

أما العقل فيجيز هذا.

لذا ترى عامة من آمن بالله يصدق بوجود المعجزات، لأنها ممكنة عقلاً مستحيلة في العادة فقط.

والعقل يجيز أن توجد سيارات طائرة وكائنات حية حديدية.. إلخ

ومن صدق النبي ﷺ في رحلة الإسراء والمعراج فقد صدقه بناء على صدق نبوته وتجويز العقل لهذه المعجزة، وأما من كذبوه فقد اعتمدوا على علومهم وعاداتهم.

لذا فتعريف المعجزة: هو أمر خارق للعادة[1] فالعادة هي التي منعت هذا، وأما العقل فيجعل هذا كله في حيز الإمكان، وإلا فهل هناك عاقل يقرأ كلامي الآن عقله يجعله يقول بأن وجود سيارة تطير في المستقبل مستحيل! إنما الواقع العلمي فقط من لم يطرح ذلك بعد بشكل عملي، وهذا كله ظاهر والحمد لله وأما المقدمة الخاطئة فهي تجويزهم مخالفة العلوم الصحيحة للعقول الصريحة.!

وهذا كما وقع فيه المتكلمون عندما جوزوا مخالفة العقول لصريح المنقول، فقد وقع فيه الملحدون وهم أشد الناس كفراً، فجوزوا مخالفة ما علمنا بالعلم صحته لما علمنا بالعقل صحته، وهذا غلط

شائع فنحن نعلم بالعقل أمورا قطعية مثل السببية، وبالعقل أيضا أمور خاطئة قد يحكم بها من استعملوا حججا عقلية خاطئة، كمن

قال بأن هناك موجود لا داخل العالم ولا خارجه، وقال هذا بناء على حجج عقلية ظنية تخالف الحجج العقلية القطعية..

وكذلك العلوم فهناك علوم صحيحة كالقوانين الثابتة بمئات التجارب، وهناك علوم لم تصح مثل كثير من النظريات العلمية كنظرية التطور كما سنبينه بموضعه إن شاء الله.

---

(١) الواضح في علوم القرآن ١/ ١٥١

فخطأ هؤلاء ظنهم أن العلم إن صح فهو يخالف العقل لو كان قطعياً، بالرغم من أن هذا جمع بين نقيضين، فالصحيح لا يناقض الصحيح.

والصحيح علمياً لا يناقض الصحيح علمياً والصحيح نقلا لا يناقض الصحيح نقلا والصحيح عقلا لا يعارض الصحيح عقلا كذلك.

وهذا لأن المسائل القطعية الصحيحة لا تتعارض.

فكذلك الصحيح علميا لا يتعارض مع الصحيح عقلا.

ولذلك فالعقلاء يعلمون بأن القطعيات لا تتعارض، فقطعي العقل لا يعارض قطعي العلم، ولو حدث تعارض فيحدث إما بين نظرية

علمية ظنية تخالف بديهة عقلية يقينية، أو يحدث التعارض بين قانون علمي ثابت في مقابلة حجة عقلية ظنية.

فالظني قد يعارض القطعي.

أما القطعيات فيثبت بعضها بعضا وتعارض المسائل القطعية جمع ممتنع بين نقيضين.

- الوجه الثاني:

= نلزم هذا المدعي للعلوم فيقال له:

هل العلم هو المصدر الوحيد للمعرفة؟

– فيقول: نعم..

= فيقال له: أثبت لي بالعلم بأنه لا يوجد مصدر آخر للمعرفة غير العلوم التجريبية.

وهذا ممتنع فالعلم قائم على العقل والخبر.

فكيف يمكن لهذا الجاهل أن يثبت بالعلم عدم صحة العقل والخبر كمصادر للمعرفة؟!

فإن لم يجد ولن يجد دليلا علميا ينفي وجود مصادر للمعرفة غير العلم، فلا يستطيع نفي أي مصدر من مصادر المعرفة كالعقل والخبر، وهذا إلزام مهم فوجب تعلُّم إلزام المخالف بما يعتقد،

وأما شبهاته التي احتج بها حول العلوم فنرد عليها تباعاً كل شبهة بتفصيل تام إن شاء الله تعالى.

* * *

مبحث
التعريف بفيزياء الكم وعلاقة الملحد بها

فيزياء الكم هي فيزياء الجسيمات التي هي أصغر من الذرة

وهي فيزياء احتمالية.

أما فيزياء ما فوق الذرة تسمى بالفيزياء الكلاسيكية

وهي فيزياء حتمية..

حيث أننا نستطيع أن نعلم مكان وسرعة الجسم فوق الذري..

مثال:

نحن نستطيع حسب الفيزياء الكلاسيكية معرفة مكان وسرعة حركة الإنسان في نفس الوقت، أما في فيزياء الكم فلا يمكن معرفة مكان وسرعة جسيم بنفس الوقت، لذا قالوا بمبدأ عدم اليقين[1] في فيزياء الكم.

والملحد يظن أن مبدأ عدم اليقين هو عدم اليقين بالحقائق وهذا لضعف فهمه بالعلوم.

وعدم اليقين بفيزياء الكم هو أنك لن تستطيع أن تعرف التفاصيل المتعلقة بالجسيمات بشكل يقيني، مثل عدم تحديد مكانه وسرعته بوقت واحد.

وقد ظن الملحد أنه لا يستطيع اليقين في كل شيء بعالم فيزياء الكم معتمدا على مبدأ عدم اليقين.

وهذا تناقض ظاهر حيث أنه يدعي اليقين أنه لا يتيقن من شيء بفيزياء الكم.!

---

(١) راجع مبدأ عدم اليقين للعالم الفيزيائي الألماني هايزنبرغ.

فكيف تيقنت من عدم اليقين في علم فيزياء الكم كله؟

وهذا معناه أنك لا تتيقن من أي شيء.. لكنك تتيقن أنك لا تتيقن!

وهذا معناه أنك تتيقن من شيء ولا تتيقن من أي شيء بنفس الوقت، وهذا تناقض أظهر من أن نظهره.

ثم ادعوا أن فيزياء الكم خالفت البديهيات العقلية، وشبهاتهم حولها مع الرد في الطرح القادم إن شاء الله تعالى.

وظنوا أن الحقائق في فيزياء الكم يجوز أن تخالف حقائق العقول.. وهذا خطأ، حيث أن الحقائق تقوي بعضها بعضاً ويمتنع أن تعارض بعضها بعضاً.

وسنبين أن هناك أمثلة كثيرة للملحد في فيزياء الكم تنطبق على الفيزياء الكلاسيكية.

بل تنطبق على كوكبنا هذا، لكنهم يتحدثون بفيزياء الكم لمعرفتهم بأن أغلب الناس لم يتعلموها فكيف يردون على شيء لا يعرفوه؟

وهذا كالمتكلمين يطرحون كلاما عند التحقيق سرابا لا معنى له ولا حجة فيه لكن لقلة فهم الناس له يظنون أن به حجة.!

والقصد أنه عند فهم فيزياء الكم على حقيقتها لن تشتبه عليك شبهة أبدا بإذن الله، كما سنبينه عند طرح شبهاتهم وبيان ردها إن وفقنا الله تعالى.

* * *

مبحث
الرد على شبهة أن فيزياء الكم تنفي السببية

وعامة شبهات الملحد أتت عن طريق خطئه في مبدأ اللا-يقين.

فمبدأ عدم اليقين لهايزنبرغ نفى الحتمية في معرفة سرعة الجسيم ومكانه بوقت واحد.

وهم ظنوا أن مبدأ الارتياب أو اللا-يقين هو خاص بعدم اليقين بالعقل والحمد لله الذي عافانا.

- قالوا: هناك نظريات في فيزياء الكم أثبتت عدم وجود سببية، بل إن الجسيمات الافتراضية تظهر وتختفي في الفضاء بلا سبب ...!

= قلت:

وهذا يرد عليه إجمالاً فيقال: جهلك بالسبب لا يعني عدم وجود سبب بل يعني فقط أنك تجهله ولا تعرفه..

= ويقال تفصيلاً: إن الجسيمات تلك توجد داخل كوننا فهي تحتاج إلى زمان ومكان، ووجودها لم نره بدون زمكان حتى يقال أن الجسيمات تظهر دون الافتقار لأي شيء.

لذا فمن المعلوم عن الجسيم أنه جسم أصغر من الذرة يظهر خلال زمن قصير جدا بموضع ما، وهذا يظهر أنه يحتاج إلى الزمان وإلى المكان بالفعل، وهو المطلوب.

بل إن الجسيمات لا تظهر إلا في حقل به طاقة[١] ولو كانت طاقة صغيرة جداً.

ولا تجد أكثر تناقضاً من الملحد حيث أنه احتج بقانون الديناميكا الحرارية الذي ينص على عدم فناء الطاقة بكوننا، وسيأتي[٢] الرد عليه إن شاء الله.

لكن القصد أنه ادعى أن الطاقة لا تفنى بكوننا هذا ثم ادعى أن الجسيمات تظهر بلا طاقة!

وهذا تناقض وخطأ علمي، بل الجسيم يحتاج في وجوده إلى حقل فيه طاقة.

وأما عقلاً:

= فيقال: إنك تدعي وجود شيء من لا شيء!

واللا شيء هو عدم كل شيء، فهو معدوم القدرة كذلك، فكيف لمعدوم القدرة بل معدوم الوجود أن ينتج لنا موجودا؟!

وهذا لا يتصور عند من يعقل ما يقول.

= فيقال: ممتنع وجود شيء من اللا شيء لأن فاقد الشيء لا يعطيه

– فإن قالوا: أن الجسيمات تنتج نفسها بنفسها بلا سبب..

= قلنا: هنا أنت جعلتها سبب بالفعل!

= ثم يقال لك: هذا فرض ممتنع أكثر من الذي قبله.

فالجسيمات لو أنتجت نفسها بنفسها هذا يستلزم أنها موجودة لتخلق نفسها وغير موجودة ليتم خلقها.!

---

(١) راجع نظرية الحقل الكمومي ، وكذلك راجع مقال بعنوان : حقل النقطة صفر Zero Point Field

(٢) سيأتي في مبحث الرد على قول الملحد بأزلية الطاقة

وهذا جمع بين نقيضين.

وأبلغ رد على هؤلاء أن يقال:

= أنتم تحتجون بأن فيزياء الكم فيها عدم يقين مطلق.

فكيف أتاكم اليقين من وجود الجسيمات بلا سبب؟

- فإن قالوا: لا نتيقن.

= قلنا له: ما سبب عدم يقينك؟

وهنا لا محيد له أن يعترف أنه لا يعلم هل هناك سبب أم لا.

= فيقال له: يعود الأمر إلى أن عدم معرفتك للسبب لا يدل إلا على عدم علمك لا على عدم وجود سبب.

والله الموفق.

* * *

مبحث
الرد على شبهة
«فيزياء الكم تثبت اجتماع النقيضين»

وقبل أن أطرح شبهاتهم التي احتجوا بها على جواز اجتماع النقيضين..

ألم تسأل نفسك كشخص يقرأ لماذا كل هذا الترك للعقل، بل والحرب الموجهة عليه؟ لأنهم يعلمون أن الحق خلاف عقيدتهم ويعلمون أن الحجة ليست معهم فإن أقمنا عليهم حجة الله الباهرة قالوا: ﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾ [الجاثية ٣٢].

نعود لشبهاتهم ..

- قالوا: فيزياء الكم أثبتت جواز اجتماع النقيضين ..

- قالوا: هناك نظريات عدة تثبت أن الجسيم يكون يميناً ويساراً في نفس الوقت ..

- قالوا: وهناك نظرية تثبت أن القطة حية وميتة بنفس الوقت[1].

(١) تخيل شرودنغر تجربة ذهنية تم فيها حبس قطة داخل صندوق مزود بغطاء، وكان مع القطة عداد غايغر وكمية ضئيلة من مادة مشعة بحيث يكون احتمال تحلل ذرة واحدة خلال ساعة ممكنا. إذا تحللت الذرة فان عداد غايغر سوف يطرق مطرقة تكسر بدورها زجاجة تحتوي حامض الهدروسيانيك الذي يسيل ويقتل القطة فوراً. والآن يقف المشاهد أمام الصندوق المغلق ويريد معرفة، هل إن القطة حية أم ميتة ؟ (من وجهة نظر ميكانيكا الكم، توجد القطة بعد مرور الساعة في حالة مركبة من الحياة والموت). وعندما يفتح المشاهد الصندوق يرى القطة إما ميتة أو حية وهذا ما نتوقعه في حياتنا اليومية، ولا نعرف حالة تراكب بين الحياة والموت.

والرد على هذا الهذيان من وجوه :

- الوجه الأول:

= أن يقال: أنت اتفقت معي ومع العلم أن فيزياء الكم احتمالية فكيف علمت أن الجسيم كالإلكترون مثلا، يكون موجودا يميناً ويساراً بنفس الوقت بيقين؟ وأنت اتفقت معي ومع العلم على مبدأ اللايقين؟!

- الوجه الثاني:

= أن يقال: سلمت لك أنه يمكن معرفة حال الجسيم بيقين

لكن العلم قال "عندما يتم رصد الجسيم نجده يميناً فقط أو يساراً فقط" ولا نجد رصدا لما تدعونه!

= ولم ولن نجد رصداً لقطة حية وميتة معاً بنفس الوقت أبدا!

= بل قبل الرصد محتمل أن يكون الجسيم يميناً أو يساراً.

ولا يقال قبل الرصد هو على اليمين واليسار معا.

كذلك القطة، فرضية "قطة شرودنغر" قبل المشاهدة قد تكون حية أو ميتة، أما عند المشاهدة فتبقى حية فقط أو ميتة فقط.

- الوجه الثالث:

= سلمنا لكم تنزلا أنه في فيزياء الكم يكون الجسيم يميناً ويساراً والقطة حية وميتة بنفس الوقت..

لكن من قال إني سلمت بصحة هذه النظريات التي تدعي هذا أصلاً؟!

– فإن قالوا: علم فيزياء الكم هو الذي نستعمله بالهواتف والأجهزة

= قلت: فأنا إن فقدت اليقين بالبديهيات العقلية فعدم تصديقي أن فيزياء الكم هي التي يعمل بها الهاتف أهون ..

بل عدم تصديقي إن هناك هواتف أيسر من تصديقي أنه يجوز اجتماع النقيضين..

- الوجه الرابع :

= أن يقال: لو كان اجتماع النقيضين جائزا..

لصحَّ أن تكون موجوداً وغير موجود بنفس الوقت..

فمن باب أولى سيجوز أن نكون استعملنا الهواتف ولم نستعملها في ذات الوقت ..!

فيصح لي أن أقول لم نستعمل الهواتف أصلاً ولا تستطيع كملحد أن تنفي هذا.

وهذا عند المتابع ترك للعقل والفهم وتجد أمثال هذا الملحد يقول: أنت مغرور تدعي معرفة الحقيقة أما أنا فمتواضع وأقر بجهلي بكل الحقائق..!

فالحمد لله الذي لم يجعلني متواضعا كتواضع هذا الملحد .

- الوجه الخامس :

= أن يقال: سلمت لك صحة اجتماع النقيضين، لكن هذا معناه جواز أن يكون جائزا اجتماع النقيضين وغير جائز بنفس الوقت..

فقولك اجتماع النقيضين جائز لا يمنع أنه مستحيل، لأنه يجوز أن يكون ممكنا ومستحيلا في نفس الوقت عندك...!

فبهت الملحد.

- الوجه السادس :

= أن يقال: هذا ضدك كملحد ..

فأنت تدعي أن القرآن يناقض العلم والأخلاق.. ولو كان اجتماع النقيضين جائزاً فلا يمنع أن يكون الدين أخلاقيا وغير أخلاقي..

وموافقا للعلم وغير موافق له أيضا.. بل لا مانع أن يقال: الدين مخالف للعلم وكلاهما صواب.. والدين مخالف للأخلاق وكلاهما صواب ..

فيمتنع على اللا-ديني إثبات خطأ الدين من كل وجه لا دين الإسلام ولا غيره.

وهذا لا محيد لهم عنه لذا قلت في بداية شرحي لعقائد هؤلاء إنه لا يوجد دليل يظنوه معهم إلا وهو عليهم من كل وجه..

أما "قطة شرودنغر: فهي ضدهم ..

قطة شرودنغر: هي تخيل شرودنغر لتجربة ذهنية، تم فيها حبس قطة داخل صندوق مزود بغطاء، وكان مع القطة عداد غايغر وكمية ضئيلة من مادة مشعة بحيث يكون احتمال تحلل ذرة واحدة خلال ساعة ممكنا، إذا تحللت الذرة فان عداد غايغر سوف يطرق مطرقة تكسر بدورها زجاجة تحتوي حامض الهدروسيانيك الذي يسيل ويقتل القطة فوراً.

والآن يقف المشاهد أمام الصندوق المغلق ويريد معرفة هل القطة حية أم ميتة؟!

من وجهة نظر ميكانيك الكم تكون القطة بعد مرور الساعة في حالة مركبة من الحياة والموت وعندما يفتح المشاهد الصندوق يرى القطة إما ميتة أو حية، وهذا ما نتوقعه في حياتنا اليومية..

فأنت قد لا تراني عشر سنوات فلا تعلم أنا حي أم ميت ..

والقصد أن شرودنغر افترض تلك الفرضية ليرد على من يدعي جواز اجتماع النقيضين فبين لهم أن هذا لا حقيقة له.

فماذا فعل الملحد؟

قال القطة حية وميتة معاً رغم أن الرجل قام بالفرضية ليثبت خطأ هذا..

والقصد أنك كقارئ الآن ترى كمية تدليس هؤلاء، فهم يستغلون عدم معرفتك للنظريات بفيزياء الكم ..

ولو قال لهم أحد: أنا لا أصدق هذا سخروا منه وقالوا أنت ضد العلم ونحن في عصر العلم ...إلخ.

وهذا يبين لك إن هؤلاء لا يمتلكون حجة بل فقط يناقشونك بما لا تفهم حتى تظن أنهم على شيء...!

ولو علموا شناعة مقولتهم تلك لعلموا أنه لو صحَّ اجتماع النقيضين لكان جائزاً أن يقال فيزياء الكم صواب وخطأ في نفس الوقت.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [التوبة ٤٧].

* * *

مبحث
علاقة الملحد بالفيزياء

الملحد عندما يعجز عن إثبات أن عقله ينفعه..

– يقول: نحن في زمن العلم.

ويدعي الشيء ونقيضه، فيدعي أن الطاقة لا تفنى ولا تستحدث من العدم عندما يتكلم عن قوانين الطبيعة..

– ثم يقول: لا يوجد عدم يقدر في الواقع أبدا..

ثم في نفس الوقت يدعي أن الجسيمات الافتراضية تنتج بلا سبب ولا تحتاج طاقة ولا غيره..

وهذا بعينه هو العدم الذي نفوه.

ولو فهموا ما قالوا لعلموا أن هذا عليهم، فالعدم ضد الوجود أصلا

لكن ممتنع أن يوجد شيء بعد أن كان معدوماً بلا سبب.

– فهم قالوا: العدم لا يوجد أبدا، والطاقة لا تنتج إلا من طاقة أخرى... إلخ .

يثبتون أن كل شيء يحتاج إلى شيء قبله.. وبنفس الوقت ينفون السببية..

وهذا أعجب ما يقال، فهم لا يفقهون ما يقولون لدرجة أني لم أضع لهم طرحا واحدا إلا وناقضوه بقول آخر لهم ..

وهذا لو تدبره القارئ انتفع وعلم أن كل ما خالف دين الحق يجعل صاحبه متخبطا هكذا.

وهم مع هذا يقولون يمكن للكون أن يكون له بداية..

ولكنهم يقولون إن الطاقة أزلية والمادة كذلك وكل من الطاقة والمادة يؤثر في وجود الآخر.

ومنهم من قال: الكون واحد من عدد لا نهائي من الأكوان، ونفوا بهذا حجة التصميم الدقيق ..

- فقالوا: يمكن وجود كون منظم ضمن عدد لا نهائي من الأكوان الغير منظمة ..

- وقالوا: لا يصح مخالفة قوانين الطبيعة بحال، وقوانين الطبيعة أثبتت أزلية المادة، وبداية الزمان والمكان فقط، فالمكان له بداية والطاقة لا.. ولم يهتدوا إلى أن قوانين الطاقة توجب الرصد والمشاهدة لكي نعرفها، والرصد لا يوجد إلا في زمان ومكان، فلا توجد طاقة دون حيز مكاني.

وعندما نلزمه بهذا يدعي أننا قد نكون بحلم أو هناك من يلعب بنا بجهاز كمبيوتر كبير ..

ولم يهتدوا إلى أنه لو كنا داخل حلم لما فرقنا بين الحلم والحقيقة.

= بل رد عليهم العقلاء فقالوا: هب أننا داخل حلم.. فلماذا لا يكون حلمنا هذا هو الذي كلف الله العباد به ونحن نعلم بالضرورة تفرقتنا بين الحق والباطل سواء كنا بحلم أم لا؟!

والقصد أنهم إن وجدوا حجة متشابهة في الفيزياء اعتمدوا عليها وأوهموا بها من يجهلها، ولو وجدوا أحدا ذا علم بالفيزياء تركوها للسفسطة المحضة ..

وكل شبهة ذكرتها هنا أرد عليها بتفصيل تام تباعاً إن شاء الله تعالى، ونبين أن ما من شبهة لهم إلا وتثبت ما هربوا منه، وما من شبهة لهم إلا وهي حجة عليهم من كل وجه بتوفيق الله.

مبحث
الرد على قول الملحد بأزلية الطاقة

والآن أتينا لأكبر شبهة فيزيائية عندهم..

وسنفصل فيها، فكما هو معلوم كلما اشتهرت الشبهة وجب أن يكون التفصيل بالرد أكثر حتى لا ندع لهم مجالا لتشتيت الناس، مستعينين بالله أن يوفقنا، وسنبين كم أن شبهتهم هذه متهافتة ولا تجد شبهة يتمسكون بها كثيراً إلا وكانت أضعف شبهة .

بل أقواها كحجة عليهم ..

إذ هكذا عقول الناس تتفاوت، وكلما ضعف معتقد الشخص كلما تمسك بأوهن الشبهات .

- قالوا: نحن نعتقد أن الطاقة أزلية .

- قالوا: وهذا ما قرره العلم وعليه قانون طبيعي مجرب .

- قالوا: والممتنع فيزيائياً هو كسر قانون للطبيعة .

= قلت: وقانون حفظ الطاقة هو القانون الأول للديناميكا الحرارية أو كما يقال الترمو ديناميك ، وينص على الآتي :

"الطاقة في نظام مغلق لا تفنى ولا تستحدث من العدم لكنها تتحول من شكل إلى آخر".

– قال الملحد: وهذا يدل على أن الطاقة أزلية فهي لا تستحدث من العدم بل تتغير من شكل لآخر.

= قلت: وهذا القانون ينطبق على المادة كذلك فالمادة في نظام مغلق لا تفنى ولا تستحدث من العدم ولكنها تتحول من شكل إلى أخر.

– قالوا: وهذا يدل أن الطاقة أزلية وكذلك المادة فلا حاجة للخالق ليخلقهم.

= قلت: والنظام المغلق هو أن الكون لا يخرج طاقة خارج الكون ولا يأخذ طاقة من خارج الكون.

= ويرد على هذا بعدة وجوه إن شاء الله تعالى :

• الوجه الأول :

= نقول أن القانون ينطبق على النظام المعزول والمغلق ولم يثبت علمياً بيقين أن كوننا ليس نظاما مفتوحا تأتيه طاقة من الخارج أو يخرج طاقة منه للخارج وهذه تبقى افتراضات، ولو كانت الأقرب للصواب.

وعليه فإن إثبات القانون نفسه مبني على شيء ظني فهو من باب أولى ظني، ويكون قطعيا فقط لو صح أن كوننا ليس نظاما مفتوحا.

والنظام المفتوح هو أن كوننا يسمح بالتفاعل مع البيئة المحيطة بتبادل المادة.

• الوجه الثاني :

= أن يقال: سلمنا أن كوننا نظام مغلق.

لكن هذا ضدك فالكون له بداية كما ثبت بنظرية الانفجار العظيم وغيرها .

ولا دليل أن هناك كونا مغلقا قبله فيه طاقة، فكيف علمت أن الطاقة أزلية ونص القانون يثبت أنه يعمل في النظام المغلق ((حصراً)) ونحن لا نعلم وجود هذا النظام إلا بكوننا هذا فقط.

فإذا كان للكون بداية فالنظام المغلق له بداية.

وهذا القانون لا يعمل إلا بنظام مغلق فكون النظام المغلق له بداية فالقانون له بداية، وهو المطلوب.

- الوجه الثالث :

= أن يقال: قوانين الطبيعة نعرفها عن طريق الرصد والمشاهدة

ونعطي مثالا بمبدأ حفظ الطاقة نفسه .

فنحن علمنا أن المادة تتحول من شكل لآخر كما هو بالطعام، فهو يتحول من الخضروات كمثال وتتحول إلى شكل آخر داخل البدن وتخرج من البدن بشكل آخر ...إلخ.

وهذا تحول من شكل لآخر للمادة، لكن المادة نفسها في كل حال باقية، إنما تتغير صورتها فقط..

وهذا القانون وإن كنا لا نسلم به، بل المادة تستحيل وتنتهي إلى مادة أخرى، وهذا هو الصواب ولكن ليس هذا محل النزاع.

فالقصد أن الملحد لا حجة له حيث أن القانون نعرفه بمشاهدة المادة ورؤية عمل المادة، وعندما يتكرر نفس العمل في كل مرة يسمى هذا قانونا فيزيائيا.

وأبسط مثال على هذا أن الجسم الساكن يبقى ساكنا ما لم تؤثر عليه قوة تحركه، فنرى أجساما لا تتحرك تحتاج إلى تأثير آخر يجعلها تتحرك ..

والقصد هنا: أن القانون نعرفه حسب المشاهدة والتكرار.. فأين المشاهدة قبل كوننا فضلاً عن التكرار حتى يقال أن القانون كان

موجوداً قبل الكون؟! أليس هذا تهكم محض؟ واتباع للهوى وتلبيس على من لم يعلم حقيقة هذه العلوم؟

•الوجه الرابع :

= أن يقال: سلمنا لك أن القانون يعمل قبل الكون ..

لكن من قال أنه يعمل من اللا-بداية؟

- فلو قالوا: لا يمكن صدور طاقة من عدم بل تصدر من صورة أخرى للطاقة.

= قلنا: هذا ضدك حيث أن الطاقة لها بداية كما سأبينه، وبما أن لها بداية يثبت بهذا أنها لن توجد من عدم فالعدم لن يخلقها، بل وجب وجود خالق لها.

• وبيان امتناع أزلية الطاقة يظهر في الوجه الخامس :

= فيقال: إن صورة الطاقة الحالية تفتقر إلى صورة قبلها تتحول منها، والتي قبلها تفتقر إلى صورة قبلها تتحول منها.

فإما أن تكون هناك نقطة بداية أو لا تكون هناك نقطة بداية لتلك التحولات.

- فإن قالوا: لها نقطة بداية عادوا للحق.

- وإن قالوا: لا أول لها يلزمهم أن الصورة الحالية للطاقة كمثال الطاقة الحركية بالسيارات تفتقر للطاقة الكهربائية التي تحولت من الطاقة الشمسية ...إلخ.

= فيقال: هذا معناه أنها محتاجة إلى انتهاء عدد لا نهائي من أشكال الطاقة حتى نصل إلى هذه الصورة الحالية.

وانتهاء ما لا نهاية تناقض، فلن توجد الصورة الحالية لأن: (ما توقف وجوده على المستحيل فوجوده مستحيل).

فيستحيل أن تحتاج صورة الطاقة الحالية إلى انتهاء عدد لا نهائي من الصور.. بل وجب وجود نقطة بداية، وهو المطلوب.

فظهر بذلك أن هذه حجة عليهم حيث سلموا لنا أن الطاقة لا يخلقها العدم، وبينا لهم أن الطاقة أو المادة وجب أن يكون لهم بداية.

ولا يمكن إيجاد العدم لهم لأن العدم فاقد للوجود بنفسه فكيف يعطي وجوداً لغيره، فثبت افتقار الطاقة بل والمادة إلى خالق يقيناً.

– وأما بيان تناقضهم فقد قالوا: لا توجد حقيقة مطلقة.

ثم جعلوا هذا القانون حقيقة مطلقة!

- وقالوا: يجوز أن توجد الطاقة والمادة أزلا.

- بل قالوا: يجب هذا.

ولم يجوزوا وجود خالق يحول صور الطاقة والمادة من شكل إلى آخر، وبيان هذا أن الطاقة لو كانت أزلية فهي لا تستطيع أن تحول صورتها من صورة إلى أخرى، لأن الطاقة لا إرادة لها، ويظهر هذا من حيث أن القوانين تتحكم بها، فلا تعمل إلا وفق قانون محدد

مما يثبت أنها بلا إرادة، فيستحيل تغير صور الطاقة بدون إله يحول صورها من صورة إلى أخرى، فتأمل هذا تجد أنه لا يوجد قول سلمناه لهم إلا ويثبت وجود الله تعالى.

* * *

مبحث
قول الملحد المادة أزلية وتغير صورها له بداية

وهذا متعلق بما قبله..

= فيقال: بعد أن أقمنا الحجة الظاهرة على أن صور الطاقة أو المادة يجب يكون لها بداية..

- قالوا: المادة أزلية وصورها لا..

- قالوا: نعم اتفقنا أن الصور للمادة لو كان لا أول لها لكان هذا تسلسل في العلل، حيث كل صورة تحتاج إلى صورة قبلها بعدد لا نهائي من الصور، وما توقف وجوده على انتهاء ما لا نهاية فوجوده ممتنع .

= قلت: وتفصيل هذا بالمبحث السابق..

- قالوا: لكن عندنا حجة أخرى لا يمكنك كمؤمن الرد عليها..

- قالوا: ما المانع أن تكون هناك صورة للمادة أزلية بدأ منها كل شيء ثم تغيرت؟

= فيقال لهؤلاء: إن هذا مبني على عدم فهم ما تقولون أصلا.

فالأزلي هو ما وجب وجوده وامتنع عدم وجوده، وأنتم تدعون أن لها صورة أزلية واجبة ثم تغيرت بلحظة ما!

فكيف يقال أن تلك الصورة واجبة الوجود وبنفس الوقت انتهت وممكن عدمها؟

هذا مخالف لتعريف وحقيقة واجب الوجود أصلا.

●الوجه الثاني :

= يقال: لو كان حال الصورة الأولى الأزلية في الأزل هو نفسه حالها عند نهايتها إلى صورة أخرى بديلة عنها..

فهذا معناه أنه كان ممتنعا عدمها ثم تحول امتناع عدمها من الامتناع إلى الإمكان بلا سبب..!

= وبيان هذا أن يقال: أنت كملحد تعلم أن الأزلي يستحيل عدم وجوده.

وكونه تحول من استحالة عدم الوجود إلى إمكان عدم الوجود فهذا يحتاج إلى سبب.. ونحن نعلم أنه لا يوجد سبب يفرق بين حال صورة المادة في الأزل وحالها عند تغيرها، فلماذا تتغير وحالها قبل التغير وعند التغير واحد؟ عجيب!

= وأما أفضل برهان هنا أن يقال: أنت ادعيت أن المادة أزلية وباقية لكن صورة هذه المادة كانت ثابتة ثم تغيرت ..

= فيقال لك: إذا كان من خصائص المادة ثبات صورتها واستحالة تغيرها لأننا اتفقنا أنها لو كانت متغيرة من صورة لأخرى لكان هذا تسلسل في العلل، وهو مستحيل..

ثم تحول هذا الثبات إلى جواز التغيرات بعد ذلك.. معناه أن المادة كان ممتنعا عليها خاصية التغير، وتحول هذا من الامتناع إلى الإمكان بلا سبب ..!

وهذا نقض للسببية، ولو جاز نقض السببية هنا لجاز نقضها دائما، وسنعود بهذا إلى نفي البديهيات العقلية.

= ثم يقال: لو جاز تحول وجود الشيء من الامتناع إلى الإمكان دون سبب لجاز إمكان كل شيء مستحيل بلا سبب، وهذا عند

العقلاء باطل ويستلزم عدم الوثوق بأي شيء عقلي، وفصلنا في هذا سابقا.

فيثبت أن وجود صورة للمادة دليل على امتناع أزليتها

وهذا الأمر ينطبق على صور الطاقة أيضا، وهو المطلوب.

ولمحاولة تبسيط الأمر حتى يفهمه القارئ بشكل تام إن شاء الله، نعطي مثالا عن الإنسان..

مثال: لو أن زيدا موجود من اللا-بداية أي أنه واجب الوجود، وزيد هذا له مادة، وأما صورته فكانت على صورة طفل صغير.. وكان لا صورة له قط غير صورة هذا الطفل وكانت مستحيلة عليه صورة غير هذه الصورة.. ثم تحولت هذه الاستحالة فأصبح يمكن لصورة زيد أن تتغير ويصبح زيد على صورة رجل عجوز ..!

فهنا يلزم من هذا أن من خصائص زيد أنه لم يكن قادرا على تغيير صورته ثم أصبح قادرا على هذا.

فوجب وجود سبب يجعل الشيء المستحيل حدوثه ممكنا..

ولكن حالة زيد عندما كان مستحيلا على صورته وهو طفل أن تتغير..

هي نفس حالة زيد عندما باتت صورته قابلة للتغير!

فهذا معناه أنه لا يوجد أي سبب جعل ثبات صورة زيد تتحول من مستحيل إلى ممكن.. ووجود شيء بلا سبب مستحيل.

- فإن قالوا: هناك شيء تغير في زيد جعله يستطيع أن يغير صورته بعد أن لم يكن مستطيعا..

= قلنا: فيقال في هذا التغيير نفس القول، نقول: إن هذا التغير كان مستحيلاً ثم أصبح ممكناً بلا سبب، ووجود شيء بدون سبب مستحيل، فيلزم من هذا أن صورة زيد لها بداية لاستحالة أزلية صورته.

والحاصل أنه من الممتنع وجود صور جديدة لزيد إلا لو كانت لصورة زيد بداية.

وهذا ينطبق أيضا على المادة.

فيستحيل وجود صورة للمادة تتحول وتتغير اذا قلنا أن كل صورة تفتقر إلى صورة قبلها، إلا لو كان للمادة بداية.

- وهذا لأن المخالف لو قال: كانت هناك مادة أزلية وأما صورها فلها بداية.

= فنقول هل هذه المادة يمكن أن تتصف بالصورة أزلا أم لا يمكن؟

- فلو قالوا: نعم ممكن!

= قلنا: فهذا يستلزم أن الصورة يمكن أن تكون أزلية، وقد بينت استحالة هذا بناء على أن أزلية الصورة يستلزم التسلسل في العلل فكل صورة تحتاج إلى صورة قبلها، وتسلسل العلل ممتنع عقلا

كما بيناه أو تستلزم تغير حالة الصورة من الامتناع في التغير إلى إمكان التغير دون سبب، وهذا ممتنع عقلا كذلك.

فإن قالوا: يمتنع على المادة الاتصاف بالصورة أزلا.

فيقال لهم: وهذا يستلزم من أن اتصاف المادة بالصورة كان ممتنعا ثم أصبح ممكنا دون أي سبب، لأنه لا يوجد إلا المادة أصلا، ومن خصائص هذه المادة عدم اتصافها بالصورة، فتغير خصائص

المادة من امتناع الاتصاف بالصورة إلى إمكان الاتصاف بالصورة لا يكون بدون سبب، والسبب معدوم، فلما وجدنا الآن مادة متصفة بصورة علمنا امتناع أزلية المادة والصورة لامتناع تغيرهم حال أزليتهم، وهو المطلوب.

***

مبحث
فرضية الأكوان المتعددة والرد
على شبهاتهم بها

فرضية الأكوان تتحدث عن وجود أكوان أخرى غير كوننا هذا..

- وقالوا: هناك آثار في كوننا يقال أنها ربما أتت عن طريق أكوان أخرى.

- وقالوا: عدد الأكوان محدود، وهناك من قال أن عدد الأكوان لا نهاية له.

واحتج الملحد على هذا بعدة أوجه :

- قالوا: قد يكون هناك كون أزلي من بين هذه الأكوان .

- قالوا: قد يكون هناك كون آخر أنتج كوننا ولا حاجة لوجود خالق.

= قلت: أما قولهم قد يكون كوننا خلقه كون آخر فممتنع..

فالثوابت الكونية في كوننا هذا يمتنع أن تأتي عن طريق كون عشوائي لا إرادة فيه ولا علما، بل مادية بحتة كما يسمونها.

فالأثر يدل على وجود المؤثر وبعض صفاته، فهل يعقل أن يقال أن الأثر الذي هو كوننا بهذه الثوابت والدقة، جاء عن طريق مؤثر عشوائي!

= ثانياً يقال: هب أن هناك كونا آخر هو السبب لوجود كوننا، لكن مؤكد هناك مسبب أول لكل هذه الأكوان، كما بينا[1] سابقاً امتناع تسلسل العلل فيجب وجود مسبب أول أزلي..

---

(١) وسيأتي أيضا تفصيل هذا في مبحث الأدلة العقلية على وجود الله، والرد على شبهة من خلق الخالق؟

= ثم يقال: أن هذه حجة عليهم، فهم قالوا: الأثر في كوننا يجعلنا نفترض أكوانا أخرى..

وهذا يثبت أن الملحد يصدق السببية لكنه يكابر .

أما قوله: قد يكون منهم كونا أزليا، فتناقض ..

حيث أن الأكوان المتعددة تفترض أن تلك الأكوان الأخرى مثل كوننا هذا مع اختلافات بسيطة.

فكيف يوجد كون مثل كوننا وبنفس الوقت ليس له بداية وكوننا له بداية؟!

والأزلي وجوده واجب وعدمه مستحيل، وأي كون مثل كوننا لن يكون وجوده واجبا ولا عدمه مستحيلا، فامتنع أزلية أي كون مثل كوننا.

= ثم يقال: احتمال أن يكون هناك كون أزلي احتمال ممتنع..

= وبرهان هذا أن يقال:

لو أنه يوجد كون أزلي بالفعل وهو مسبب كل الأكوان، وكانت حالة هذا الكون أزلا كما هي حاله عندما خلق أول كون..

يستلزم من هذا أنه لا يوجد أي سبب رجح وجود الكون الثاني عن عدم وجوده .

لأن حال الكون عند الفعل وقبل الفعل سواء.

فحال الكون الأول حين خلق الكون وحين لم يخلقه واحد

فلا يوجد سبب جعل وجود مخلوق بدلاً من اللا-مخلوق، وهذا نفي للسببية ومن نفاها نفى كل البديهيات، ونفي البديهيات ممتنع.

فيكون افتراض وجود كون أول سبب كل شيء ممتنع.

خلافنا نحن أهل الدين فالخالق عندنا له إرادة ويخلق لحكمة متى شاء.

فيصح أن يريد لحكمة مستقبلية خلق الكون بوقت دون وقت، والخالق يقوم بذاته فعل حادث، بسبب هذا الفعل وجد المخلوق بعد أن لم يكن، وهذا الفعل المحدد الذي يفعله الخالق، هو فعل يفعله

الخالق بعد أن لم يكن فاعلا له، يحدث بسبب إرادته وحكمته، ولولا هذا لما أمكن حدوث هذا الفعل أصلا.

• قال تعالى:

﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل ٤٠].

فهنا الفعل الحادث وهو قوله (كن) هو الفعل الذي بسببه وجد المخلوق، وفعله متعلق بإرادته كما هو ظاهر من الآية.

وهذا كله واجب عقلا.

وهل الإرادة المحددة أزلية والله يريد أزلا أن يخلق الكون بوقت محدد، أم تحدث الإرادة المعينة لحكمة مستقبلية؟ على قولين وكلا القولين يحلان المسألة.

ففعل الخالق لخلق الكون له بداية وسبب وجود هذا الفعل بعد أن لم يكن هو الإرادة التي تكون لحكمة، ولولا هذا لما وجد الفعل أصلا

مثلما أنك تقرأ كلامي هذا، فهذا فعل، ولولا إرادتك للقراءة لما فعلت هذا الفعل، وهناك حكمة من القراءة وهي التعلم، ولولا هذه الحكمة لما أردت القراءة، فالفعل الذي يكون العبد قادرا على فعله

وقادرا على تركه، لا يكون هذا الفعل دون إرادة، ولا تكون هذه الإرادة دون غاية لأجلها أراد ذلك الفعل.

ولأن المسبب الأول قادر على الفعل وعلى عدم الفعل، ويمتنع أن يفعل بدلا من أن يفعل دون إرادة.

لأنه قادر على الفعل كما أنه قادر على ترك الفعل.

أما دليل قدرته على الفعل فلأن الكون موجود، ولولا قدرة مسبب وجود الكون على خلق الكون لما وجد هذا الكون.

وهذا مثلك أنت كقارئ، فلولا قدرتك على القراءة لما وجد فعلك للقراءة الآن.

وأما دليل أن المسبب الأول قادر على ألا يفعل، فلأن الكون له بداية، ففعل الخلق له بداية، فهو قبلها كان تاركا لفعل خلق الكون، وهذا يدل على قدرته على الفعل وعلى ترك الفعل، ولولا الإرادة لما فعل شيئا أصلا.

فثبت أن فعله لخلق الكون كان عند خلقه للكون لا قبل ذلك.

وإلا فلو كانت حالة الخالق قبل الخلق وعند الخلق واحدة لما أمكن وجود المخلوق بالفعل.

ولنمثل هذا عليك كقارئ الآن، فأنت قادر على فعل القراءة ولولا هذا لما قرأت كلامي هذا، وقادر على ترك هذا الفعل كذلك، ولولا هذا لما تركت قراءة الكتاب قبل هذا، وإرادتك هي التي رجحت فعلك عن عدم فعلك، وهؤلاء يدعون بأن الكون الأزلي هو الذي سبب وجود كوننا هذا، وهذا الكون الأزلي ليس له إرادة وليس له حكمة، وهذا مستحيل كما بينت. فإن كان هذا الكون الأول قادرا على إيجاد كوننا وقادرا على عدم إيجاده، فقدرته على الفعل والترك سواء فبدون إرادة لن يوجد مرجح يرجح وجود الفعل عن عدم وجوده.

فتبين أن مقولة "هناك كون أزلي" ممتنعة بل وجود أي موجود أزلي بدون إرادة ممتنع.

وهذا يثبت أن هناك مسببا أوليا وله إرادة، والكون أو المادة أو الطاقة ليس لهم إرادة بالاتفاق، فثبت أن خالق هذا الكون ليس كونا آخر ولا هو هذه المادة ولا هو هذه الطاقة، وهو المطلوب.

وهذا كله له تفصيل أكثر قادم[1] إن شاء الله تعالى.

والقصد أن هذا يرد على مقولتهم أن تعدد الأكوان يثبت خطأ التنظيم الذكي، وهذا ضعف فهم عندهم، فمع فرضية تعدد الأكوان، وجب وجود خالق لهم جميعا سواء كان عدد هذه الأكوان نهائيا أو غير نهائي.

ووجود كون واحد منظم هذا التنظيم يدل على علم الصانع .

= بل ويقال لهم: لو أن هناك أكوانا أُخرى.. فمن باب أولى يصح أن تكون منظمة ككوننا هذا، لأن من خلق كوننا على هذا التنظيم قادر على خلق غيره بنفس هذا النظام المبهر.

وعلى فرض لو أن هناك كونا أخر أقل دقة، فهذا حجة عليك لا معك..

حيث أن حكمة الله من هذه الظاهرة أنه بين لك أنه قادر على خلق المنظم وغير المنظم، وإرادته وحكمته فقط تحددان ما يكون كونا منظما أو ما يكون كونا أقل تنظيما.

فإن فرضنا أن كل الأكوان منظمة بنفس التنظيم فسنثبت بهذا صفات العلم والقدرة، وإن فرضنا التفاوت في خلقه للأكوان فمنهم

منظم ومنهم أقل تنظيما.. فسنثبت بهذا صفات الإرادة والحكمة للمسبب الأول..

---

(١) سيأتي تفصيله في مبحث إثبات صفة الإرادة المطلقة لله

وهذا كله من إرادة وحكمة أو من علم منتَفٍ في الطاقة والمادة بل وفي الأكوان، فثبت أن الذي خلق كوننا حسب فرضية الأكوان المتعددة يمتنع أن يكون كونا آخر أو مادة أو طاقة.

وهذا نفس قول أهل الدين.

* * *

مبحث
الرد على شبهة
«أن كل ما نحن فيه حلم فقط»

وبعد أن ألزمناهم بحججنا المطابقة للعقل وللواقع هربوا..

- فقالوا: ما دليلك على أننا لسنا في حلم؟!

- قالوا: نعم كلامكم حق، لكن كل ما نحن فيه حلم فقط، فهل تقدر على أن تنقض هذا؟!

ويرد على هذا الهذيان من وجوه :

- الوجه الأول :

= أن يقال: نحن نعلم علما ضروريا أننا لسنا في حلم، أما داخل الحلم نفسه لا نستشعر هذا العلم الضروري داخلنا، فبالتالي لا نفكر هل نحن بحلم أم لا داخل حلمنا.

- الوجه الثاني :

= يقال: سلمت لك أننا في حلم، لكن ما دليلك أني في الحلم لن أعرف الحق، وأنا أعلم بداخلي علما ضروريا أن ما توصلنا إليه من حقائق هو حق، وأنني استعملت تفكيري السليم حتى وصلت لهذا.. فتبقى الحجة ظاهرة بذلك.

= وبيان هذا أن يقال:

أنت كملحد لم تثبت أنه كون كل هذا مجرد حلم .. لم تثبت أنه ينفي صحة الحجة، فنحن في الحلم يخيل لنا خيالات، نعم، لكننا نتيقن في الحلم ويكون عندنا علم ضروري أننا متواجدون ونفكر

بالفعل، ولا نظن أن امتناع النقيضين ممكن حتى ونحن داخل الحلم.

وهذا يثبت أن تَعقُّلَ الحقائق ولو كنا في حلم.

= ثم يقال له: عندك حل من اثنين:

إما أنك في الحلم أو في الواقع الحقيقي.

ولو أنك في حلم، هذا يعني أننا لا نستطيع أن نعلم حقائق داخل هذا الحلم، وهذا تناقض، حيث أنك عرفت حقيقة أن الحلم لا يمكن معرفة الحقائق فيه رغم أنك داخل الحلم فعلاً!

فإن كان كلامك صوابا وفعلاً لن نعرف حقائق داخل الحلم.. فكيف عرفت حقيقة أننا لن نعرف حقائق داخل الحلم رغم أنك في حلم وعرفت هذه الحقيقة..!

وإن كان كلامك خطأ ويجوز فعلا أن نعرف حقائق داخل الحلم، فهذا يبقي حجتي كما هي.. سواء في حلم أو لا، فهي تبقى حقائق ثابتة صحيحة.

– وإن قال: بل نحن في الواقع فعلاً.. فقد عاد لقول العقلاء من أهل الدين.

والصواب هنا أنك تلزمه بقوله كما بينت.

ولازم أقوال هؤلاء ألا نعاقب أحدا، فلو كان الحق كما يدعون بأنه لا يوجد دليل واحد يفرق لنا بين الحلم والخيال والحقيقة..

فكيف تحكم على أحد بالسجن لأنه قتل أو سرق! فلا يوجد دليل حسب منهجك على أن هذا ليس خيالا.

ولا يجوز أن نعاقب أحدا دون أن نثبت فعله للجريمة، كيف لو كان القاضي تخيل الأدلة المُدينة للمتهم في الحلم، ثم حكم عليه بناء على هذا..

ونحن عند هؤلاء لا نقدر على أن نثبت فرقا بين الحلم والحقيقة فتأمل!

أما حقيقة معتقدنا، فنحن نعيش في الواقع بالفعل ونستطيع أن نفرق بين الحلم والواقع ما دمنا في الواقع ومستيقظين.

ونعلم هذا بعلم ضروري يقيني، لذا لا نعارض القاضي بمثل معارضة الملحد لنا! ولو كانت معارضة الملحد صحيحة لأمكننا معارضة القاضي، بها ولكن فساد اعتراضه معلوم بالضرورة.

ودليل هذا أننا بالفعل نقول "أنا كنت أحلم" ونقول "أنا حدث لي هذا فعلاً" فنفرق بين الحلم والواقع ونحن في الواقع.

أما في الحلم فعادة لا نفكر في قضية الحلم والواقع أصلاً، بل ولا يخطر ببال أحد أنه يحلم ويقول ما دليلي أني في الواقع ولست في الحلم؟

• الوجه الأخير :

= يقال: هذه حجة عليك كملحد، فكل أدلتك التي تنقض بها الدين مبنية على الوقائع.

فإن كان هناك احتمال أننا في حلم.. امتنع تصديقك لأي شبهة تضعها أمام المسلم، فقد يكون كل هذا الهذيان من الشبهات مجرد منام فقط! فتأمل هذا تنتفع.

فالملحد لا يظن بأنه في حلم إلا عندما تقيم عليه الحجة، أما وهو يلقي الشبهات تجده مستيقظا ومتيقنا تماما !

والله الهادي.

* * *

مبحث
تأثير اللامادي في المادي
وكيفية الخلق من عدم

- يقولون: "كيف يخلق الله من العدم" وهذا قول منتشر جدا عند هؤلاء.

- وقالوا: مع هذا إن كانت المادة مخلوقة فكيف يؤثر الخالق اللا-مادي في المادة؟

ويرد على هذه الحجج بتفصيل من عدة أوجه فيقال:

= التأثير مشروط بالوجود مع القدرة على الفعل، فمع القول بأن الله تعالى موجود غير مادي، يصح أن يؤثر في وجود المادة، بل إن الطاقة تؤثر في وجود المادة، بل إن الجسيمات الافتراضية قد ينتج عنها كل شيء عندك كملحد..

= فيصح هنا بأن يقال: بما أن الله موجود ذو قدرة على الفعل فيصيح بهذا أن يخلق .

= ثم نلزمهم فيقال لهم: لماذا أوجبت ألا يؤثر في الشيء المادي إلا شيء مادي كذلك؟

- إن قال: عرفت هذا بالمشاهدة.

= قلنا: والمشاهدة لا تمنع من وجود غير مادي كذلك، فلا توجد حجة تمنع وجود خالق غير مخلوق، بل إن المشاهدة تثبت أن سبب تأثير الشيء على الآخر هو الوجود والقدرة فقط لا ماديته وعدمها.

وأنت إن كنت تعني بالمادة "الموجود" فالله موجود بالفعل، وإن كنت ستعتبره ماديا بهذا الاعتبار فيكون الخلاف لفظيا لا معنويا.

وإن كنت تعني بالمادي "كل ما يصح رؤيته" فالمولى يصح رؤيته

وهذا كذلك ليس تعريفاً علميّاً.

وإن كنت تعني بالمادي أن يكون مفتقرا محتاجا في وجوده إلى غيره، فقد أبطلنا أزلية المادة بهذا المعنى وأثبتنا حدوثها واحتياجها إلى مسبب أزلي ليس ماديا لامتناع أزلية المادة.

ولكن الفائدة هنا.. وجب عليك كمسلم أن تفهم حجة المخالف وتسأله ماذا تقصد بالمادي؟

وما برهانك على المنع من وجود المادة إلا من مادة أخرى؟

وقد ثبت بالبرهان العقلي وجوب حدوث المادة بالمعنى الذي تقصده كلا-ديني!

ولا يصح لك كمسلم أن ترد دون أن تفهم مراد المخالف وإلا فهذا تسرع شخص مبتدئ، والمسلم المناظر وجب عليه أن يكون على علم وفهم لأصول النقاش حتى ينفع غيره ولا يضر نفسه.

- أما قولهم: "كيف يخلق الله من العدم؟"

= فيقال: هذا مبني على ظنك أن العدم شيء مادي يخلق الله منه.

إنما يخلق الله الشيء بعد أن كان معدوماً..

• قال تعالى:

﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾ [مريم ٦٧].

فالإنسان بصورته لم يكن موجودا ثم خلقه الله.

وهذا نراه بالواقع، فكم من أشياء لم تكن موجودة ثم وجدت بعد أن كانت معدومة.

مثلك أنت أيها القارئ..

- فإن قالوا: المادة تبقى موجودة لكن صورها تتغير..

= قلنا: هذا مبحث فلسفي لا علمي، والعلم يتبناه لتبنيهم مدرسة فلسفية قديمة محددة.

ولكن الصواب أن المادة نفسها تتغير بصورتها.

وقد بسط هذا شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في كثير من كتبه[1].

= ثم يقال: قد ثبت بالدليل العقلي أن المادة لها بداية، فيلزم من هذا أن هناك خالقا خلقها بعد أن كانت معدومة.

= ثم يقال: هب أن المادة ليس لها بداية، ولكن صورها تتغير، فالله يخلق الصورة الجديدة من الصورة القديمة، فمع فرض أزلية المادة لا يمكن تغيير صورها دون خالق له إرادة، فيكون المؤثر في صورة المادة هو الخالق.

• قال تعالى:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴾ [المؤمنون ١٢].

فتبين أن الله يخلق المادة من المادة، ولا ينافي هذا أنها كانت عدماً بالفعل، بل كانت مادة أخرى تحولت لتلك المادة الجديدة.. إلخ.

فمع فرض أن الله لا يخلق المادة بعد العدم بل يخلق فقط المادة من المادة، فالإسلام أقر بأن الله يخلق المادة من المادة، فيكون هو الخالق على كل حال.

---

(١) راجع درء تعارض العقل والنقل ٩/ ٧٨

وبيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية ٢/ ٢٥٩ — ابن تيمية (ت ٧٢٨)

وإن كنا نثبت أن الله قادر على أن يخلق المخلوق من مادة أخرى أو بعد العدم المحض، وكل هذا جائز عقلا وشرعا.

والقصد أن الملحد يستغرب خلق شيء من العدم لظنه أن الله استعمل العدم فخلق منه، بل العدم هو اللا شيء.

والمؤثر في الخلق هو قدرة الله لا غير.

والله أعلى وأعلم.

ومع هذا فالملحد أشد الناس تناقضا، فكثير منهم من ينفي البديهيات، فكيف يكون اجتماع النقيضين ممكنا ثم يستحيل خلق شيء من العدم !

والعجب أنهم يدعون بأن هناك أشياء تظهر في الكون بدون سبب، لا مادة ولا طاقة ولا شيء، فكيف يكون هذا ممكنا ولا يكون خلق الكون بقدرة الله ممكنا!!

أليس هذا إلا هوى وتناقض؟

* * *

براهين وجود اللّه

مبحث
التأصيل بأدلة وجود اللّه

وبراهين وجود المولى عز وجل كثيرة .

ولكن هناك أصول للمناظرة في هذا المبحث وسنبينها تباعاً إن شاء الله.

وبعض الأدلة على وجود المولى عز وجل ذكرتها بالفعل في معرض الرد عليهم في الفصول السابقة.

وأنت تبدأ مع اللا-أدري بأدلة وجود الله، أما الملحد فأنت مخير بأن تلزمه أن يثبت عدم وجود خالق أو أن تبدأ معه بتقرير الأدلة مباشرة.

- فإن قال: أنت المثبت لوجود خالق فعليك أن تعطي أدلة وجوده وليس على النافي دليل لأن الحجة على من ادعى..

= فيقال: أنت خالفت العادة، فعادة الناس على الإيمان بوجود خالق، ومخالف العادة عليه البينة، كما لو أتانا أحد وقال أنا لا أنام أبداً، فهو خالف العادة وعليه إثبات قوله ..!

- فإن قال: هناك فرق بين ما يعتقده الناس من وجود خالق وبين ما يشعر به الناس من وجوب النوم..

= قلنا له: وعامة المؤمنين يشعرون بفطرتهم بوجود إله يفتقرون إليه بشعور داخلي لا يستطيعون رده، وهذا شعور متواتر عن

البشر بغير تواطؤ، فتجد أن العربي يقول به والأعجمي أيضا يقول به بغير اتفاق منهم.

- فإن قال: عادة الناس ليست بالضرورة صوابا.!

= قلنا له: أنت لم تفهم حجة المؤمن فرددت هذا الرد.

= فالمؤمن يقول: إذا كان المثبت لعادة الناس حسب معتقدك يحتاج إلى دليل فالنافي الذي خالف عادة الناس في اعتقادهم فعليه الدليل من باب أولى .

= والرد الثاني أن يقال: نعم، الحجة على من ادعى وأنت بالفعل ادعيت عدم وجود الخالق بيقين، وكما أن المثبت عليه أن يثبت قوله فكذلك النافي لوجود الله عليه أن يثبت قوله..

ألا ترى أني لو قلت: لا توجد كواكب أخرى غير كوكب الأرض، فسأكون مطالبا بإثبات ما نفيت!؟

وهذا واجب عند العقلاء، فالعلم بعدم وجود الشيء إن لم يكن معلوما بالضرورة لما أمكن العلم بعدمه إلا بالاستدلال.

وإلا كان هذا محض هوى، وكذلك معرفة وجود الشيء إن لم يكن يعرف وجوده بالضرورة لما أمكن معرفة وجوده إلا بالاستدلال بمعنى البحث والنظر في الأدلة.

فإن كنت لا تعرف دليلا ينفي وجود الخالق ولا تعلم عدم وجوده بالضرورة، فكيف تنفي وجوده بيقين؟

والناس قد تنفي وجود الشيء بالضرورة، بل إن العقلاء ينفون اجتماع النقيضين بالضرورة والبداهة دون الحاجة إلى البحث عن أدلة كما بيناه.

وقد يعلمون عدم وجود شيء ما بعد البحث في الأدلة، مثل معرفتنا لعدم وجود زيد في الغرفة، فنحن لا يمكن أن نعرف عدم وجوده فيها بالضرورة، لكنا نعرف هذا بالاستدلال والبحث، فبعد

أن ذهبنا إلى الغرفة ولم نجد زيدا فيها، عرفنا وقتها بالدليل أن زيدا ليس فيها.

وهذه كلها مسائل ظاهرة عند العقلاء ولكن هؤلاء أهل جدل، أما نحن فأهل برهان والحمد لله.

- ثم يقول الملحد: لا يوجد دليل على وجود خالق، لذا أنا غير مؤمن به.

ويحتج بحجج ضعيفة مثله بل هي حجة عليه لا معه..

- فيقول: أنت كمؤمن، إن قيل لك بأن هناك إنسان طائر، هل كنت لتصدقه دون ان يأتيك بدليل؟

= فيرد على هذا فيقال: تلك حجة عليه فوجود إنسان طائر هو

شيء مخالف للعادة، فعلى من ادعى وجوده عبء الإثبات، ليس لأنه مستحيل، فالبشر قد يصلون إلى كيفية للطيران فيما بعد، وهذا لا يمنعه العقل ولا العلم، لكن نطالبه بالدليل لأنه خالف عادة البشر.

وأنت بالفعل خالفت فطرة البشر في الإيمان بوجود خالق وشعورهم بالحاجة إليه وأن التذلل إليه عِزّ وأن التقرب منه نعمة.

ودليل إثبات وجود الله بالفطرة قادم[1]، ولكن القصد أن هناك جمع كبير من الناس بغير اتفاق مسبق بينهم يقولون: «وجود الله أظهر من أن يحتاج إلى دليل"

وهم يستشعرون وجوده بداخلهم أكثر من وجود الشمس والقمر

فأنت هنا من خالفت عادة الناس فعليك الدليل.. وهو المطلوب.

= ثم يقال لهذا الملحد: عدم معرفتك للدليل ليست دليلاً على عدم وجود دليل.

وكان العقلاء يعبرون عن هذا فيقولون:

---

(١) سيأتي مبحث دليل الفطرة على وجود الله

"عدم معرفتك للدليل المعين لا تعني عدم معرفتك للمدلول المعين"

والقصد أن المدلول هو الذي تحاول أن تدلل على صحة وجوده، وهو كمثال وجود الخالق، فإن عدم معرفتك لدليل محدد يثبت وجود الخالق، لا يعني عدم وجود الله بالفعل، بل فقط يعني أنك لا تعرف..

وهذه مسألة بدهية عند العقلاء، من الممكن ألا أعرف دليلا يثبت لي وجود الجاذبية، مع أنها ظاهرة عند أغلب الناس، وعدم معرفتي للدليل لا يعني عدم وجود المدلول، وكثير من الناس كانوا لا يعرفون أدلة مسائل علمية علمنا أدلتها اليوم، فلو كان عدم معرفة الدليل ينفي وجود المدلول، لكان كل ما لا نعرف دليله بزمن ما مستحيل الوجود حسب منهج هؤلاء الفاسد.

ثم إن قولهم يستلزم اجتماع النقيضين، فلو أني أعرف دليلا صحيحا على وجود القوة الجاذبية، وأنت كقارئ لا تعرف أي دليل على هذا، إما لعدم بحثك مطلقا أو لبحثك بكيفية خاطئة، فحسب منهج الملحد فإن الجاذبية موجودة لأني عرفت دليل وجودها، وغير موجودة لأنك أيها القارئ لم تعرف أدلة وجودها!

وهذا معناه أن الجاذبية موجودة وغير موجودة بنفس الوقت، فتأمل فساد اعتراض هؤلاء !

ثم إن هذا يلزمه كذلك، فيمكنني أن أعارضه فأقول: دليلي على وجود الله هو عدم وجود دليل ينفي وجوده، وما كان رده هنا فهو ردنا هناك.

وهذا إلزام لا محيد له عنه، والله الموفق.

لذا وجب على كل ملحد أن يعترف بأنه «لا-أدري» وليس ملحدا حتى يأتينا بدليل ينفي وجود إله.

والملحد قد يأتيك بأدلة علمية كما نقلت لكم حججهم سابقاً

و كلها عند التحقيق فيها لا تنفي وجود الخالق، بل هي إلى إثبات وجوده أقرب وأظهر .

والقصد أنك كمناظر مخير بأن تبدأ بتلك المسألة مع الملحد أو أن تبدأ مباشرة بالأدلة التي سنبينها تباعاً إن شاء الله تعالى.

- فإن قيل: هل لا يصح أن نبدأ مع اللا-أدري بقول «الحجة على من ادعى»؟

= قلت: يصح فتقول له: أنت خالفت عادة الناس بيقينهم أن هناك خالقا وهذا مغروز بفطرتهم، فادعيت الشك بهذا وعليك أن تثبت قولك .

ولكني لا أرجح هذا وأرى من الأفضل أن تبدأ مع اللا-أدري بوضع الأدلة مباشرة بعد أن تنتهي معه من مصادر المعرفة.

والله أعلم بالصواب.

* * *

مبحث
دليل الفطرة على وجود اللّه

• قال الله تعالى:

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الروم ٣٠].

• قال الله تعالى:

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف ١٧٢].

فوجود الله مغروز بالفطرة ..

ومعلوم ضرورة أنه إذا قيل لأي طفل صغير.. «هناك خالق هو رب كل شيء، وقادر على كل شيء، يراك ويعلم حالك، غني عن خلقه وخلقه يفتقرون إليه»

سنجد الطفل جازماً بوجوده.

وهذا لا يختلف فيه أي أحد يسمع عن الله لأول مرة، فبمجرد أن يتصور فكرة وجود خالق خلق كل شيء يجزم بوجوده.

وهذا منقول متواتر عن كل الناس دون اتفاق بينهم.

– فإن قالوا: أليست الفطرة تتغير؟

= قلنا: نعم، ولكن العبد يجد بنفسه معرفة لفطرته الأولى التي كان عليها من قبول جازم لوجود خالق..

- فإن قيل: ما دليلكم على أن الفطرة تدل على وجود الله؟

= قلنا: هذا من ظهوره لا يحتاج إلى بيان، ألا ترى أن العربي والأعجمي في كل زمان ومكان يحكى عنهم أنهم عندما تصوروا أول مرة فكرة وجود خالق يفتقر إليه الخلق جزموا بها جزما تاما؟

وهؤلاء يمتنع تواطؤهم على الكذب لكثرتهم ولاختلاف أحوالهم وأعراقهم ولغاتهم.

وهناك برهان جميل في هذا..

= فإن الناس جميعهم متفقون بأصل فطرتهم على تنزيه الرب من النقائص، وما ينسبونه إلى الخالق من النقص كأن يقال بأنه هو

نفسه المسيح عليه السلام الذي تم صلبه وضربه وقهره، أو كقول بعض الناس بنفي الكمال كقولهم: «أن الخالق بلا صفات» ..إلخ، فكل هذا يظنونه تنزيها، فاتفقوا على أصل التنزيه وضلوا في كيفيته.

- بل والملحد يقول: لو أن هناك خالقا لما قبل بتعذيب خلقه..

ويأتي الرد[1] على هذا إن شاء الله تعالى.

والقصد أن تنزيه الرب أمر فطري ولم يتغير من فطرة العباد لقلة الشبهات على تنزيه الرب عن النقائص.

- فالملحد يقول: لو أن الله موجود فلن يكون إله الأديان، لأنهم ينزهونه عن تلك الأديان باعتبارها تنسب إليه النقص حسب ظنهم.

---

(١) سيأتي بيانه في مبحث معضلة الشر حجة ضد الملحد

وهذا يدل على أن الفطرة تنزه الخالق حتى عند الملحد، وبما أن الفطرة تنزه الخالق فمن باب أولى تثبت وجوده.

ولكثرة الشبهات حول وجود خالق انتكست فطرة الكثيرين منهم، ولولا هذه الشبهات لما شكوا في عدم وجوده، فكفار قريش لم يكن

عندهم كتاب، وفلاسفة اليونان أغلبهم لم يؤمنوا بكتاب، ثم إن هؤلاء كلهم آمنوا بوجود خالق خلق كل شيء.

• قال تعالى:

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [العنكبوت ٦١].

فلولا بعض الشبهات ومطالعتها دون تعمق سابق لما انتكست الفطرة عند الملحد، لكنهم مع هذا يجدون علما ضروريا داخلهم أن فطرتهم التي ولدوا عليها تقر بوجود خالق كما تقر بتنزيهه.

وهذا كما قال ابن القيم -رحمه الله-:

«ولا يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل».

فما بالك بوجود الله! فهو أظهر وأعظم، والجزم به بقلوب العباد دائم حتى تعرض عليهم شبهات، والشك بعد وجود الشبهات لا يدل على عدم ظهور وجود الله، فالشبهات قد جعلت هؤلاء الملحدين

يشكون في وجودهم وفي عامة البديهيات رغم ظهورها وعلمنا الضروري بصحتها.

لذا فإن الملحد يحارب الفطرة من كل وجه، ولا فرق بين إنكاره وجود خالق وبين إنكاره البديهيات الأخرى التي تكلمنا عنها، فإن شبهاته هنا هي من جنس شبهاته الأخرى حول البديهيات.

= ثم يقال: أنت كملحد تدعي أن الناس تعرف البديهيات العقلية بسبب الاستقراء والمشاهدة، كمثال أن لكل سبب مسببا وقد بيّنا خلاف هذا.

= فيقال: إن الله لم نره ولم نر مثيلاً له، ومع هذا الناس تجزم بوجوده بمجرد تصور قضية أن هناك غنيا بذاته يحتاج إليه كل خلقه، فإن كان الناس يجزمون بما يرونه فقط، فجزمهم بوجود خالق خارق للعادة يثبت أن وجوده فطري.

وهو المطلوب.

* * *

مبحث
دليل الأخلاق على وجود اللّه

الأخلاق تثبت وجود الفطرة بشكل رئيسي، والفطرة هي الخلقة وهي تدل على وجود الخالق.

ولبيان الدليل الأخلاقي على وجود الله سأذكر الحجج بكيفية المناظرة، فنسمي المدعي بأن الحجة الأخلاقية تثبت وجود خالق «مثبتا"

والملحد الذي ينفي أن الحجة الأخلاقية تثبت وجود خالق نسميه «نافيا»

= قال المثبت: الأخلاق إما أن تكون موجودة أو غير موجودة

ويمتنع أن تكون غير موجودة، حيث أن الإيثار وتقديم الغير على النفس ومحبة الخير لمن لا تعرف وكراهة الظلم ومحبة من يساعد الناس كل هذا يعتبره الناس أخلاقيا بالضرورة.

ولا مفهوم لها إلا هذا ويمتنع سير الحياة بدون هذه القيم

فهل تتفق؟

- قال النافي: الأخلاق موجودة لكنها مادية.

= قال المثبت: لو كانت الأخلاق مادية لوجب وجود خالق لها، لأن الطبيعة لا تفرق بين حسن وقبيح، فدمار كوكب الأرض بكل

ما فيه أو عدم دماره بالنسبة للطبيعة سواء، فوجب وجود مسبب مريد له حكمة في غرز الأخلاق في البشر.

•الوجه الثاني:

= أن يقال: يمتنع أن توجد تلك الأخلاق بكل البشر عن طريق طبيعة لا تعرف شيئا.

بل وجب أن يكون هناك خالق جعل تلك القيم موجودة بكل الناس

وهو ما أطلقنا عليه سابقاً اسم دليل الفطرة.

= ثم يقال للنافي: أنت بين خيارين:

إما أن تكون المادة مصيبة أو مخطئة.

– فإن قال: هي مصيبة فيما أعطته لنا من أخلاق.

= قلنا: هذا استدلال بالمادة على نفسها وهو استدلال دائري، فيصح لآخر أن يقول هي مخطئة فيما أعطته لنا من قيم.

لذا فلا يمكنك أن تعتبر تلك القيم صحيحة بدون وجود خالق حكيم، ولأنه حكيم فهو لن يخلق بنا غريزة نجمع على أنها صحيحة إلا إن كانت كذلك.

وأما المادية البحتة فلا يمكنك بها أن تعرف هل تلك القيم بحق «أمر جيد»؟

ولذا نجد أن أقل الناس أخلاقا هم الملحدون.

ولا عبرة لمن قال إن الإلحاد غير أخلاقي لكن يوجد ملحد ذو خلق، إنما الحق أن كل من نفى وجود الله ويدعي نسبية الأخلاق فهو بلا أخلاق قطعا.

والقصد أنه بين خيارين :

إما أن يعترف بأنه من الممتنع عليه أن يثبت بأن تلك القيم أخلاقية فعلا.

فينفي الأخلاق بالكلية، وينفي بعض الضروريات الأخلاقية كتقبيح الظلم، وبناء عليه سينفي بقية الضروريات أو البديهيات.

وإما أن يعترف بوجود خالق حكيم عليم لتلك القيم بكل الناس..

وهو المطلوب.

ثم نلزمهم بإلزام لا محيد لهم عنه :

= أنت كملحد عندما تناقش الدين تقول: ممتنع أن يكون الخالق هو رب الأديان لأنها لا أخلاقية، لأنه يمتنع أن يرسل الخالق رسالة إلا وهي أخلاقية، أما لو كانت الرسالة بشرية مادية فلا مانع أن تكون لا أخلاقية .

= فيرد عليك: إنه كذلك ممتنع وجود قيم أخلاقية مغروزة بنا بدون خالق، وإلا فأنت اعترفت أنه لا يمكن الوثوق بالمادية على صحة تلك الأخلاق لأن المادية قد تعطينا رسالة لا أخلاقية بالفعل، فلا يوثق بها.

فالملحد إما أن يعترف أن إثبات الإلحاد هو نفي لقيمة الأخلاق

بالجملة، أو يعترف أن الأخلاق خلقها الله بنا، وهو المطلوب.

* * *

مبحث
الأدلة العقلية على وجود اللّه
دليل الإمكان

وبعد أن أظهرنا مخالفة الملحد ومحاربته للعقل ورددنا على سفسطتهم.. حان الوقت لبيان الأدلة العقلية على وجود المولى سبحانه.

= فنقول: قد برهن العقل على وجود مسبب أول وهو الله عز وجل بعدة براهين :

منها أدلة مشهورة كدليل الإمكان .

والبرهان هو:

= إن كل موجود إما أن يكون «ممكن الوجود» مثل الإنسان، فيصح وجوده ويصح عدم وجوده، فالإنسان يمكن وجوده ويمكن عدم وجوده..

أو «واجب الوجود» فيصح وجوده ويمتنع عدم وجوده.

– فإن قال المخالف: أن كل الموجودات ممكنة الوجود فقط..

= قلنا: إن هذا ممتنع لعدة وجوه :

- **الوجه الأول أن يقال:**

لو كانت كل الموجودات ممكنة الوجود فقط.. فالممكن هو ما كان مسبوقا بالعدم ثم أصبح موجوداً، ويحتاج بذلك إلى سبب يسبب وجوده عن عدم وجوده.

فلو كان كل ممكن يحتاج إلى مسبب آخر، وكل مسبب يحتاج إلى مسبب آخر، لزم أن يكون جملة أو سلسلة الممكنات تحتاج إلى علة أو مسبب لوجودها كذلك لامتناع وجودها بلا سبب.

فإما أن تكون علة هذه السلسلة هي السلسلة نفسها، وهذا مستحيل، لأنه يستلزم أن تكون الجملة سابقة لنفسها لتخلق نفسها، ومسبوقة كذلك ليتم خلقها.

فتكون سلسلة الممكنات سابقة لنفسها لتخلق نفسها ومسبوقة لنفسها ليتم خلقها بنفس الوقت، وهذا تناقض ممتنع عند كل عاقل..

ويمتنع أن يكون سبب هذه السلسلة من الممكنات جزءاً من هذه السلسلة، لأنه يستلزم أن يكون هذا الجزء هو مسبب هذه السلسلة وأن تكون السلسلة علة أو سببا لوجود هذا الجزء..

فلا يوجد هذا الممكن الذي هو جزء من سلسلة الممكنات، لا يوجد دون وجود أجزاء قبله، فلا يوجد بدون جملة الممكنات هذه، ولا توجد الجملة بدون هذا الجزء قبلها.

فلا توجد السلسلة قبل هذا الجزء ولا يوجد هذا الجزء قبل تلك السلسلة فلا يوجد لا هذا الجزء من الممكنات ولا جملة الممكنات «يعني كل الممكنات"

وهذا ممتنع، والواقع يكذبه، فالواقع يثبت وجود ممكنات بالفعل.

حتى أن كلامي هذا كان يمكن وجوده ويمكن عدم وجوده.

= ولتبسيط هذا نقول: لو أن كل الموجودات ممكنة الوجود فقط كالبشر يمكن وجودهم ويمكن عدم وجودهم، لوجب بذلك وجود سبب يسبب وجود هذه الجملة من الموجودات الممكنة من البشر عن عدمها..

ولا يمكن «على سبيل المثال» أن يكون زيد هو سبب وجود الجملة كلها، لأن زيدا جزء من جملة الممكنات من البشر، فيستحيل أن

يكون هو سبب وجود جملة الممكنات، وجملة الممكنات سبب في وجوده، لأن وجود زيد مستحيل إلا لو كان هناك مسبب لوجوده..

فتكون السلسلة لا وجود لها بدون الجزء وهو زيد «كمثال» وزيد لن يوجد بدون السلسلة..

وبهذا لن يوجد لا زيد ولا السلسلة، إذن، لن يوجد ممكنات أبدا، وهذا خلاف الحس والمشاهدة فيكون سبب تلك السلسلة من الممكنات مسببا ليس «بممكن الوجود» وإلا لكان جزءا من السلسلة.

وليس «بممتنع الوجود» لأنه لو كان وجوده ممتنعا فمن باب أولى يمتنع أن يكون مسببا لوجود غيره من الممكنات فوجب أن يكون مسبب الممكنات موجودا وجب وجوده وامتنع عدم وجوده.

وهو المولى سبحانه وتعالى وهو المطلوب.

* * *

مبحث
الأدلة العقلية على وجود الخالق
دليل الافتقار

• قال تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر ١٥].

ودليل الافتقار يكون كالآتي:

= فيقال: الموجود إما أن يكون مفتقرا بذاته يحتاج في وجوده إلى غيره.

أو غنيا بذاته لا يحتاج في وجوده إلى غيره.

والمفتقر يحتاج للغني، لأنه لو قيل: مفتقر يحتاج إلى مفتقر آخر والآخر يحتاج إلى مفتقر آخر إلى ما لا نهاية..

سيكون مجموع الموجودات مفتقرا.

والمجموع أو السلسلة أو جملة الموجودات ستكون مفتقرة للغير من باب أولى.

فلو كانت أجزاء الجملة مفتقرة.. فالجملة من باب أولى.

مثل الطوب الذي يبنى به المنزل، فكل طوبة تفتقر في وجودها إلى سبب، فالمنزل الذي يبنى من الطوب يحتاج في وجوده إلى سبب غيره من باب أولى.

= وبيان هذا أن يقال:

إن الجملة هي كل جزء من الموجودات من شجر وبشر ومطر، كل منهم يحتاج إلى غيره لكي يوجد..

فمجموع تلك الموجودات المفتقرة يحتاج إلى غيره من باب أولى.

وغير المفتقر هو الغني بذاته الذي لا يحتاج في وجوده إلى غيره.

وهو المطلوب.

= ولبيان هذا يقال:

لو كان هناك فرد مفتقر يحتاج إلى غيره وانضم إليه فرد آخر محتاج إلى غيره فحاجتهم إلى الغير معاً أكبر وأعظم من حاجة الفرد فقط، فأفراد الموجودات المفتقرة مجتمعين، بحاجة إلى وجود خالق غير مفتقر بل غني لا يحتاج في وجوده إلى مسبب.

لذا تبين أن كل مفتقر يحتاج إلى الغني بذاته الذي وجب وجوده واستحال عدم وجوده ولم يكتسب وجوده من غيره.

وهو الله الغني الحميد.

* * *

مبحث
الأدلة العقلية على وجود اللّه
والرد على شبهة: من خلق الخالق؟

صورة الشبهة بأن يقول الملحد: لو أن الله خالق كل شيء، فمن خلق الله؟

وقبل الرد علينا أن نبين نقطة :

إن قيل: ((تسلسل العلل، أو الخالقين، أو المسببات، أو المؤثرات)).

فهذه المصطلحات عند نقاش الملحد يكون لها نفس المعنى.. وهو أن خالقا يحتاج إلى خالق قبله يحتاج إلى خالق قبله إلى ما لا بداية.

ويرد عليهم ببرهان امتناع تسلسل العلل أو الخالقين.

وقيمة هذا البرهان أن نبين استحالة تسلسل المسببات، فنصل إلى مسبب أول لا يحتاج إلى خالق.

حيث أن الملحد قال بعد أن بينا له أن السببية حق وهي واجبة عقلا، فقال: نعم السببية حق كما قال العقلاء.

– ولكنه عارضنا فقال: لو كانت السببية حقا فإن للخالق خالق، وإن لم تكن حقا لتعذر إثبات وجود خالق، وهو المطلوب.

وتلك الشبهة تعد من أشهر شبهاتهم ومن أضعفها كذلك..!

ويرد على هذا من وجوه :

= فيقال: السببية هي أن لكل حادث مُحدِث.. أي أن كل شيء له بداية يحتاج إلى مسبب، لأن الشيء الذي له بداية يحتاج إلى غيره ليرجح كفة وجوده على كفة

عدم وجوده، أما الأزلي الذي ليس لوجوده بداية فهو لم يكن معدوما في وقت من الأوقات حتى يقال بأنه محتاج لمرجح يرجح وجوده بعد عدم وجوده، ولفظ «يرجح» يعني «يسبب».

– قال الملحد: عندنا ثلاث فرضيات..

* الكون نشأ من العدم فجأة .

* أو أن هناك تسلسل، فهناك خالق خلق خالقا إلى ما لا بداية.

* هناك مسبب أول أزلي خلق كل شيء، وهذا قول المؤمن .

– قال الملحد: ما دليلك كمؤمن أن فرضيتك صواب؟

= فيقول المؤمن:

أما فرضيتك الأولى فممتنعة لأن العدم لا يملك وجوداً لنفسه فضلا عن أن يملك وجوداً لغيره!

لذا قال بعض العلماء:

إذا استحال أن يكون العدم خالقاً استحال أن يكون الخالق معدوماً.

أما فرضيتك الثانية وهي تسلسل العلل أو الخالقين فيرد عليها من وجوه :

- **الوجه الأول:**

= أن يقال: برهان الضابط والرصاصة:

لو أن هناك ضابط معه رصاصة ويريد أن يطلقها، وينتظر أمرا من ضابط أعلى منه، والضابط الأعلى منه ينتظر أمرا من ضابط أعلى منه، إلى ما لا نهاية ..

هل ستطلق الرصاصة؟

قطعاً لا..

فوجب أن يوجد ضابط أول حتى يتم إطلاق الرصاصة.

وهذا بعينه يرد به على سؤالهم، فلكي يوجد الإنسان وجب أن يكون له خالق، ولو احتاج كل خالق لكي يوجد إلى خالق قبله لما وقع هذا إلا لو عاد الأمر إلى خالق أول، مثل أن الرصاصة لن تطلق إلى بأمر ضابط أول.

وعلى المؤمن أن يعلم لماذا لا يمكن إطلاق الرصاصة حينها؟

= فنقول: لأن إطلاق الرصاصة متوقف على انتهاء عدد لا نهائي من أوامر الضباط حتى يصل للضابط الذي معه الرصاصة.

وانتهاء ما لا نهاية تناقض ممتنع.

ولذلك قلنا أن الرصاصة لن تطلق إلا لو عاد الأمر

ولنطبق الدليل ذاته على قولهم «من خلق الخالق؟"

= فنقول: لو أن وجودي متعلق بوجود خالق يسبق وجودي، والخالق هذا يحتاج إلى خالق قبله إلى ما لا بداية، سيكون عندنا عدد لا نهائي من الخالقين، ووجودي متعلق بانتهاء ما لا نهاية من الخالقين، وانتهاء مالانهاية تناقض مستحيل.

فإن كان وجودي متعلقا بالمستحيل فوجودي مستحيل .

كما لو قيل: زيد لن يوجد إلا إن انتهت الـ ما لا نهاية .

فهل سيوجد زيد؟

ولو كان التسلسل الـ ما لا نهائي في الخالقين مستحيلا، وجب أن يكون التسلسل نهائيا.

لأن (ما كان وجوده مستحيلا فعدم وجوده واجب).

ووجود لا نهاية في المسببات مستحيل

فعدم اللا نهاية في المسببات واجب

فيجب أن تكون هناك نهاية لتلك السلسلة

وهو ما يعرف بالمسبب الأول، وهو المطلوب.

لذا قال العقلاء: إن التسلسل في الفاعلين يؤدي إلى عدم وقوع الفعل.

ولذا عندما ترى وجود إنسان بالفعل، تعلم أنه يستحيل أن يأتي من عدم، فوجب أن يكون أتى بسبب موجود آخر.

ومستحيل أن يأتي من تسلسل خالقين، فوجب أن يكون أتى من مسبب أول.

ويمكن الرد على قولهم بتسلسل العلل بدليل (الإمكان أو الافتقار) وقد تكلمنا عنهم سابقاً، ولكني أضع الأدلة المتنوعة وأنت كمسلم مخيّر تناظر بما تراه مناسباً.

فمن تدبر هذا علم أن كل فرضيات الملحد ممتنعة عقلاً، وكل ما يدعيه المؤمن لا يعرف العقل غيره عند التحقيق.

والحمد لله رب العالمين.

* * *

مبحث
معضلة الشر حجة ضد الملحد

معضلة الشر هي معضلة يحتج بها المخالف حتى ينفي وجود الله.

وتعريف المعضلة: المشكلة المستعصية التي لا حل لها[١].

وأما «الشر» ففيه شبهتان :

الأولى: إن وجد الشر امتنع وجود خالق.. حيث أنه لو كان الخالق موجوداً لما خلق الشر .

والشبهة الثانية: متعلقة بالصفات وهي أن وجود الشر ينفي صفة الحكمة في الخالق ..

وأما الشبهة المتعلقة بالصفات فتأتي[٢] عند الحديث حول الصفات بتفصيل تام ونحن مازلنا نناظر الملحد في وجود الخالق لا في صفاته.

فيرد عليه بوجوه فيقال :

= لو كان الشر دليلاً على عدم وجود خالق، فالخير يدل على وجوده.

= ثم يقال له: الشر دليل على وجود الخالق بالفعل، فلن يوجد عالم فيه موت وظلم.. إلخ وبنفس الوقت فإن هذا العالم فيه خير

وحياة ورد المظالم، فلن يوجد هذا كله إلا عن طريق خالق خلق هذا العالم.

فلو أن عقلك كملحد يقول لك أن الصدفة أو الطبيعة هي التي تعطي الشر،

---

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة ٢/ ١٥١٣

(٢) سيأتي مبحث إثبات صفة الحكمة لله

لأنها لا تفهم شيئا، فالعقل يدل بشكل أعظم وأظهر على أن الطبيعة لن تنتج عالما فيه خير وشر لأنها لا تفهم شيئا .

فلما امتنعت على الصدفة أن تنتج لنا هذا العالم المركب من الخير والشر، ثبت وجود خالق عليم.

لأن القاعدة تقول «إذا امتنع الشيء ثبت نقيضه"

فلما امتنع على الصدفة أن تخلق هذا العالم، ثبت نقيض الصدفة وهو أن هناك خالقا خلق هذا العالم بإرادته وعلمه.

– فإن قالوا: لو كان الخالق موجوداً لتنزه عن خلق الشر..

= قلنا: هذا لو سلمته لك تنزلا فإن غايته أن ينفي صفة الحكمة لا أنه ينفي وجود الخالق الذي يفعل بمشيئته، فأنت ولو نفيت حكمته بسبب خلقه للشر، فلا تقدر على أن تنفي حكمة الخالق في بقية أفعاله الأخرى، فضلاً عن أن تنفي وجوده بالكلية.

والحديث عن حكمة خلق الشر قادم[1] في الحديث عن الصفات إن شاء الله تعالى.

وتبقى حجة المؤمن قائمة، فبدون خالق لا يمكن وجود عالم فيه خير وشر.

وبرهان هذا كالآتي :

= يقال: لو كان سبب الخير والشر واحدا وهو الطبيعة

فالطبيعة بلا إرادة أصلاً، ولا تفرق بين الخير والشر كذلك ..

فأن تكون الطبيعة سببا لوجود الخير من جهة وسببا لوجود الشر من جهة أخرى، فهذا دال على الإرادة، لأن الإرادة هي التي ترجح بين فعل مقدور

(١) سيأتي مبحث الحكمة من وجود الشر وعلاقته بالإسلام

وفعل مقدور آخر، فلماذا سببت الصدفة الخير والشر معا ولم تسبب وجود الشر فقط أو الخير فقط؟

والعقل يتصور عالما دون شر كالجنة، ويتصور عالما دون خير كالنار، فهذا كله متصور عقلا.

والاحتمالات الثلاثة هذه إنما هي سواء عند الطبيعة..

وترجيح أحد الاحتمالات على الآخر لا علاقة له بالقدرة، لأن الطبيعة قادرة على إيجاد الخير والشر معاً، فمن باب أولى هي قادرة على إيجاد الخير فقط أو الشر فقط.

فترجيح هذا الاحتمال عن الاحتمالات الأخرى لا علاقة له بالقدرة، لأن الطبيعة قادرة على إيجاد الشر فقط وإيجاد الخير فقط كما أنها عند الملحد أوجدت الخير والشر معا، فيكون ترجيح هذا الاحتمال بدلا من الاحتمالات الأخرى هو ترجيح بلا سبب، وهذا نفي للسببية، وهو ممتنع.

فلما ثبت أن وجود الخير مع الشر دال على أن الطبيعة قادرة على إيجاد الخير والشر عند الملحد .!

فترجيح الطبيعة لإيجاد الخير مع الشر بدلاً من إيجاد الخير فقط أو الشر فقط، ممتنع لأن قدرة الطبيعة متعلقة بهذا وذاك ولا مرجح فيها يرجح بينهم.

فثبت بذلك أن خالق العالم وجب أن يكون متصفا بالإرادة، وإلا لنفينا السببية وبعدها بقية البديهيات العقلية! لأن القاعدة تقول «حكم الشيء حكم مثله» ولا فرق عقلا بين مبدأ السببية وبقية المبادئ العقلية البديهية الأخرى، فلو جاز خطأ بديهة من البديهيات جاز خطأ بقية البديهيات الأخرى! وهذا محال عقلا كما بيناه بتفصيل تام من كل وجه.

فإذا تبين لك أن وجود الشر دال بالضرورة على اتصاف خالق الكون بالإرادة، والصدفة والطبيعة بالاتفاق بلا إرادة، علمنا بهذا فساد معتقد الملحد وصحة معتقدنا في هذا المبحث والحمد لله.

فيبقى الحديث عن أن هل الخالق موصوف بالإرادة والحكمة أم الإرادة فقط؟

ومعرفة الحكمة من خلق الشر قادم بعون الله.

فمعضلة الشر معضلة ضد كل ملحد، حيث أنه يمتنع عقلا وجود الشر مع الخير بنفس الوقت، عند فرض عدم وجود خالق.

* * *

مبحث
الرد على قول الملحد
«أنت تثبت إله الربوبيين لا إله الإسلام»

وهذا اعتراض مشهور جدا عندما تقيم الحجة عليهم على وجود خالق.

- قالوا: أنت لم تثبت إله الإسلام بل تثبت إلها فقط.

- قالوا: النصراني والمجوسي وغيرهم متفقون معك على كل ما أثبتّه أنت، فلماذا لا تثبت إله الإسلام مباشرة؟

- قالوا: هناك ٤٢٠٠ دينا كلهم متفقون على نفس الرب الذي أثبتَّ لنا وجوده.

انتهى.

فرد عليهم العقلاء بوجوه كثيرة :

- الوجه الأول:

= إن كل مسلم ربوبي وليس كل ربوبي مسلماً.

فكل مسلم متفق على وجود رب بالفعل .

- قال تعالى:

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة ٢].

فنحن نثبت رب الإسلام بغض النظر عن اتفاق الأديان الأخرى معنا.

- الوجه الثاني:

=أن يقال: اتفاق تلك الأديان كلها معنا حجة عليك كملحد، لأنك أنت من خالفت ٤٢٠٠ دينا كما تدعي، وسنرد[1] إن شاء الله على ادعاء الملحد أن هناك أديان كثيرة جدا، ونبين كيفية معرفة الدين الحق من بينها في غير هذا الموضع.

---

(١) سيأتي تفصيله في مبحث الرد على شبهة ما الدين الحق بين ٤٢٠٠ دين؟

لكن القصد هنا أنك خالفت كل هؤلاء في اعتقادهم بوجود خالق، وقد تبين أن مخالفتك لكل هؤلاء ممن يعتقد بوجود خالق ومنهم المسلمون، ليست مخالفة مبنية على عقل ولا على علم.

- الوجه الثالث:

= أن يقال: إثباتي لوجود رب خالق لا ينفي وجود إله الإسلام بل تثبت وجوده عندما نثبت صحة الرسالة.

- الوجه الرابع:

اعتراضك كملحد كاعتراض من يقول: لماذا تثبتون أن العقل مصدر من مصادر المعرفة وكل أهل الأديان متفقة على هذا؟ فأنت لن تثبت دينك إن أثبتّ أن العقل مصدرا للمعرفة..!

وهذا هذيان لا يقوله من يفهم ما يقول، لأني كمسلم لم أدَّعِ أن أهل الأديان الأخرى لم يصيبوا بعض الحق الذي عندنا في كل شيء! بل إن المسلم يدعي بأنه إذا تبين أن الإسلام حق فإن أهل الأديان الأخرى أصابوا فيما وافقوا فيه الإسلام وغلطوا فيما خالفوا فيه الإسلام..

لذا قال العقلاء لهم: أنتم تعترضون لمجرد الاعتراض..

= ثم إن المسلم يقول: إن الحجة تثبت ما اتفق عليه المسلمون مع غيرهم في هذا الباب، وهي حجة عليك كملحد، لأنك خالفت كل هؤلاء وخالفت العقل والحس كذلك، وهذا يبين لك ضعف منهجك أكثر ويبين أن الأمور المشتركة عند أهل الأديان صحيحة، وهو ما يثبت أن الإلحاد فشل أمام حجة أهل الأديان، وهو المطلوب.

وفي العادة فإن الملحد المعترض بهذا الاعتراض لا يريد إلا إلقاء الشبهات، ولا يريد أن يقر بالحق بعدما تبين له.

لذا فأنت كمسلم لو قيل لك: أثبت لي إله الإسلام، فابدأ معه كما بدأنا ثم قل له:

= أنا عندما أثبت أن الله هو الخالق الأول فأنا أثبت قول النبي ﷺ: ((كان الله ولم يكن شيء قبله))[1]، سواء اتفق المجوسي معي أم لا، فأنا أثبت إله الإسلام بمنظور الإسلام، ولو اتفق معي أهل الأديان الأخرى في هذا الحق الذي أثبته لك بالبرهان فهذا لا يضر، فإن اتفاقهم مع الحق في بعض الأمور لا يجعلهم على حق مطلقا.

= أقول: هذا دليل إثبات المسبب الاول أو أن المسبب الاول غني وموصوف بصفات كالإرادة.. إلخ، ثم أقول: وهو (الله عز وجل)، لأني أثبت ما قاله الإسلام بالفعل في هذه المباحث، وأما إثبات صحة الرسالة الإسلامية نثبتها لاحقا بتفصيل تام وحجج قطعية إن شاء الله تعالى.

- فإن قالوا: لماذا لا تثبت وجود الخالق بصحة الرسالة الإسلامية مباشرة؟

= قلنا: هذا الطريق ممكن، ولكن أنت كملحد لا يحق لك أن تلزمني بهذا، لأنه لا يوجد بالإسلام شيء يمنع من إثبات وجود الله بالأدلة العقلية، أو أن وجود الله لا يعرف إلا بالكتب السماوية، فلا أنت بقادر على إلزامي بشيء يقول بهذا من معتقدي، ولا قادر على إلزامي بشيء يوافق العقل يقول بهذا!

فالعقل يقر بأن الحق قد يعرف بدلائل مختلفة ومتعددة، فمعرفة وجود الخالق قد تعرف بالأدلة العقلية النظرية، كما قد تعرف بأدلة أخرى، مثل دليل الفطرة كمثال، فلم أعرف بحياتي عاقلاً يقول بأن الحق يستحيل أن يعرف إلا بطريق

(١) صحيح البخاري « كِتَابُ التَّوْحِيدِ » بَابٌ: وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، حديث رقم ٧٤١٨

واحد! إلا بعدما ناقشت كثيرا من هؤلاء الحمقى المغيبين، نعم، قد توجد مسائل عليها دليل واحد فقط، ولكن هذا لا يمنع من أن مبحثنا هذا عليه أدلة كثيرة كما بينت، وهناك مباحث كثيرة بواقعنا سواء كانت عقلية أو مادية أو عقدية، ويمكن إثباتها بعدة أدلة، فما أدري كيف فكر الملحد عندما قال هذا الاعتراض الدال على قصر نظره.

= بل إن وجود الخالق يعرف بالفطرة والعقل بل وبشبهتك تلك أيضا، لأن الناس رغم اختلاف أديانهم اتفقوا على وجود خالق عرفوه بالفطرة، فيستحيل اجتماعهم على الكذب في قولهم لشعورهم الضروري الذي هم مفطورون عليه، فالكذب منهم ممتنع لكثرتهم ولشدة اختلافهم، ولا يمكنك إيجاد مبرر لشعورهم الضروري جميعا بوجود خالق إلا أن تعترف بوجوده بالفعل، لأن الطبيعة وحدها لا تفرق بين غرز معرفة وجود الخالق فينا من عدمه، فامتنع أن تغرز فينا معرفة وجود الخالق واحتياجنا إليه، فلما امتنع هذا على الصدفة والطبيعة علمنا بأن الذي فطرنا على هذا هو هذا الخالق الذي خلق كل شيء، وهو المطلوب.

= ثم الأولى مع الملحد أن تقول له:

أنت ألحدت منذ زمن بعيد فلا مانع من أن تتبع معي الخطوات بيومين أو ثلاثة حتى نصل إلى الحقيقة وتتبعها حيث كانت، ونحن بيّنا وجود خالق بالفعل بحمد الله فلا داع لاعتراضك هذا فنحن على الطريق الصحيح.

وهذا أسلوب جيد حيث أنه لا يجب أن تنسى كمسلم أنك ترجو هداية الملحد ولا تعامله بعدوانية تنفره منك بلا ضرورة، بل ضع الأمور في مكانها الصحيح تنفع وتنتفع بتوفيق الله.

***

مبحث
الأدلة العلميّة على وجود اللّه

هذا مبحث مهم لكل ملحد، فهم يدّعون اتباع العلم .

ويقال إجمالا حول هذا: العلم التجريبي هو رصد الظواهر الطبيعية وتفسيرها.

وهذا التعريف بحد ذاته يثبت السببية، فتفسير الظواهر الطبيعية هو عين السببية، وهذا يستعمل في كل ظاهرة طبيعية، مما يثبت أن من نفى السببية نفى العلوم بالكليّة.

ثم إن العلم أثبت لنا افتقار الأشياء حولنا، وأن كل ما حولنا له بداية، مما يثبت حاجته لخالق وهذا بينته سابقاً.

والقصد هنا أن العلم التجريبي يثبت حاجة المخلوق إلى الخالق بعدة جهات:

أولاً: بداية الموجودات حولنا مما يعني أنها تحتاج إلى غني بذاته خلق كل شيء.

ثانياً: الضبط الدقيق.

- قال تعالى:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة ١٦٤].

وهذا ضروري عند العقلاء، فدلالة الخلق على وجود الخالق دلالة لازمة بفطرة كل إنسان.

ثم إن الخلق يدل على أن الخالق هذا عليم بلا شك وهذا ظاهر كما بينته الثوابت الكونية مثال:

الثابت الكوني للجاذبية لو اختلف بمقدار ١/ (١٠)^٨ (٦٠) لانهار الكون منذ اللحظة الأولى.

هذا الرقم {١/ (١٠)^٨ (٦٠)} معناه:

واحد صحيح مقسوم علي عشرة للأس ستين، وهذا الرقم صغير أشبه بالعدم وكوننا مضبوط على هذا الرقم، بمعنى أنه لو زاد هذا الرقم أكثر من هذا قليلاً لتمدد الكون إلى ما لا نهاية بفعل قوة الانفجار الأول حتى يتلاشى بالكلية وينهار ولم يكن ليتكون أصلاً .

وكذلك هذا الرقم لو نقص قليلاً مما هو عليه الآن لظل الكون ينكمش وينجذب منذ اللحظة الأولى إلى أن يتلاشى أيضاً ويصبح عدماً بفعل الجاذبية.

وهذا يعني أن الكون مضبوط بدقة عالية جداً تفوق مخيلات البشرية جمعاء، تشير إلى وجود قوة حكيمة صنعت هذه القوانين والثوابت.

فالثابت الكوني للتمدد[١] لو اختلف بمقدار {١/ (١٠)^٨ (١٢٠)} لانهار الكون منذ بدايته ولم يتكون وهذا الرقم معناه واحد صحيح مقسوم على عشرة للأس مائة وعشرون، وهذا الرقم أيضاً صغير جداً يقترب من العدم والصفر المطلق، هذا الرقم يعني أنك قسمت الواحد الصحيح إلى مليارات مليارات مليارات من الأجزاء فكم يكون هذا الرقم ضئيل؟

(١) راجع موقع Evolution News مقال بعنوان: Roger Penrose on Cosmic Fine-Tuning: ""Incredible Precision in the Organization of the Initial Universe

أيضاً بنفس الطريقة، لو زاد هذا الرقم قليلاً أو نقص قليلاً لانهار الكون منذ اللحظة الأولى ولم يكن ليتكون أصلا .

وتلك الثوابت تدل على أنها لا تأتي صدفة، وطالما أنها لم تكن صدفة ولن تكون كذلك فهي أتت عن طريق خالق عليم.

وهو المطلوب.

والعلاقة بين نسبة كتلة وطاقة الكون لو اختلفت بمقدار

{١/ (١٠) ^ (١٠) ^(١٢٣)} لانهار الكون منذ اللحظة الأولى ولما كانت هناك حياة وهذا الرقم معناه واحد صحيح مقسوم على عشرة للأس عشرة للأس مائة وثلاثة وعشرون، وهو رقم شبه عدمي صفري ليس باستطاعتك أن تتخيل صغره فهو يقترب من الصفر مليارات مليارات مليارات المرات، وهذا الرقم لو زاد أو نقص لم تكن هناك حياة لاختلال كل أنظمة الكون ..!

ودلالة وجود الحياة على وجود الخالق دلالة ضرورية.

- قال تعالى:

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك ٢].

وقد عارضوا هذا بمعارضة خبيثة لا يوجد عندهم أقوى منها وهي عند التحقيق كعقيدتهم أهون من بيت العنكبوت..

– قالوا: لو كان كوننا منظما فهذا يحتاج لخالق فعلا، والخالق يكون أعظم من الكون فيحتاج لخالق أيضا !

= قلت: وهذا ضدهم أصلاً لا معهم.

فبما أن الخالق أعظم من كوننا فإن هذا يدل على أنه أزلي لا أول له ولا يوجد أعظم من هذا..

والأزلي لا بداية له، وبالتالي لا يحتاج إلى خالق ليخلقه، لأنه لا وجود لشيء قبله ليكون خالقاً له.

= ثم يقال:

العلم دل على افتقار عالمنا ولم يدل على افتقار خالق عالمنا.

حيث أن كل أجزاء عالمنا مفتقرة إلى مسبب، وبما ان كل أجزاء العالم لها بداية وتفتقر إلى مسبب فبالضرورة أن العالم يفتقر إلى مسبب من باب أولى، مثل لو قيل أن كل جزء بالمنزل له بداية فأن يكون للمنزل بداية من باب أولى، وبداية عالمنا يثبت افتقار عالمنا إلى مسبب، وكما أن السببية بديهة عقلية فإن العلم كله يعتمد على صحة السببية والعمل بها.

وكما بينا أن العقل دل على وجوب وجود خالق أزلي أول..

فتبين أن هناك خالق للكون بالعلم والعقل.

وهو المطلوب.

فهذه كلها حجج علمية ثابتة ومعلومة، مع أن الحق بأن نقول أن الله لو أراد وجود الكون بثوابت أخرى غير هذه الثوابت لفعل، ولكن هذا الفرض يثبت قولنا كذلك، فالغاية من الحجة أن نبين أن الكون يمتنع وجوده دون خالق، لأن الطبيعة غير قادرة على إيجاد كون منظم مثل كوننا ولا هي قادرة على إيجاد كون منظم بثوابت أخرى، وليس هدفنا أن نبين أن خالق كوننا لا يقدر على خلق الكون بثوابت أخرى، فبما أنه قدر على خلق هذا فهو قادر بالضرورة على خلق غيره بثوابت تنظمه كذلك، فهذه الثوابت دالة على وجوده وليست دالة على تقييد قدرته.

ولو نظرنا في بعض العلوم كعلم الأحياء وغيره لما وجدنا خلافا بل وجدنا ما يتفق مع أن الإنسان مخلوق بتنظيم يمتنع وجوده دون وجود خالق عليم.

وهناك كتب مختصة بالتنظيم الدقيق وغيره فيها أمثلة كثيرة نمتنع عن ذكرها هنا خوفاً من الإطالة.

- فإن قالوا: العالم فيه أشياء كثيرة غير منظمة، فما الرد؟

= قلنا: التنظيم يدل على خالق عليم، وعدم التنظيم يدل على افتقار تلك المادة لخالق لها رغم أننا لا نسلم لهم وجود أي شيء بلا تنظيم أبدا، لكنك كمناظر مسلم قد تجهل حكمة الله في خلقه بعض الأمور..

فيكون ردك حاضرا بدليله العقلي الظاهر والعلمي الحاصل.

والذي لا نعلم تفاصيل خلقه بتنظيم من المخلوقات، فهو من جنس الإنسان الضعيف الذي كلما وجدته أضعف كلما علمت افتقاره واحتياجه لله، بل حكمة الله الظاهرة في خلق أشياء كتلك تبين لك حاجة المادة للخالق.

والمادة المنظمة من جنس الرجل الذكي الذي عندما تراه تقول سبحان من خلق هذا.

والمراد أن نبين لك وجه الدلالة من الحجة ونرد على شبهة الخصم حتى لم يبقَ له شيء بفضل الله.

* * *

مبحث
هل اللّه قادر على خلق المستحيلات؟

وقد ذكروا مسائل يظنون أن فيها نفي وجود خالق .

- قالوا: لو كان الله قادرا على كل شيء فهل هو قادر على أن يخلق صخرة لا يستطيع حملها؟

- قالوا: وهل يستطيع أن يخلق إلها مثله؟

= قلت: وقد أرادوا هؤلاء نفي صحة قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران ١٦٥].

– قالوا: فلو كان الله على كل شيء قديرا بالفعل، فهو قادر على أن يخلق إلها مثله، وهذا مستحيل لأن الإله وجب أن يكون غير مخلوق، ويستحيل أن يخلق إلها مخلوقا وغير مخلوق بنفس الوقت لأن هذا تناقض، ولو كان غير قادر فهو لا يستحق أن يكون إلها.

= ويرد على هذا الهذيان وقمة الخذلان عند العقلاء من وجوه :

أفتتحها بنقل كلام شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– في المسألة، قال: «وهُوَ سُبْحانَهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ لا يُسْتَثْنى مِن هَذا العُمُومِ شَيْءٌ؛ لَكِنَّ مُسَمّى «الشَّيْءِ» ما تُصُوِّرَ وُجُودُهُ فَأمّا المُمْتَنِعُ لِذاتِهِ فَلَيْسَ شَيْئًا بِاتِّفاقِ العُقَلاءِ»[1]

= فهذا كلام شيخ الإسلام –رحمه الله– ونبين ما فيه من دقائق وحقائق فالمولى عز وجل على كل شيء قدير، فإن كان على كل شيء قديرا ولا يقدر على حمل

(١) مجموع الفتاوى ٨/ ٥١٢

الصخرة، كان هذا معناه أنه قادر وغير قادر، وهذا تناقض ممتنع.

وقدرة الله إنما تتعلق بالممكنات لا بالممتنع لذاته، وسنبين إن شاء الله.

الشبهة الثانية: وهي أن الله يخلق إلها مثله! ومعلوم أن الله غير مخلوق .

- فالملحد يسأل: هل يقدر الله أن يخلق إلها مخلوقا غير مخلوق؟!

وهذا تناقض ممتنع.

- فقالوا: هل لا يقدر على خلق الممتنع لذاته؟

= فيرد بالوجه الثاني فيقال:

العدم لا شيء وقدرة الله لا تتعلق بخلق اللا شيء بل خلق الشيء، لذا قال إنه على كل شيء قدير، والعدم ليس بشيء فلا تتعلق القدرة به.

= ويبين هذا الوجه الثالث :

أنه إذا كان العدم يمتنع عليه الوجود.. فالممتنع الوجود لذاته كالتناقض مستحق للعدم عن غيره .

مثل أن يقال: زيد غير موجود.

فهنا نفينا الوجود عن زيد فهو معدوم غير موجود، لكن وجوده ممكن .

أما الممتنع لذاته ممتنع وجوده فهو مستحق للعدم عن غيره فلا تتعلق القدرة به لأن القدرة تتعلق بالشيء والعدم لا شيء.

- فلو قالوا: أنت كمسلم بنيت حجتك على أن التناقض ممتنع الوجود ونحن نقول أنه ممكن الوجود .

= قلنا: هذا مخالف للعقل بالضرورة.

= ثم نلزمهم فيقال لهم: لو كان التناقض ممكن الوجود فشبهتك لا قيمة لها.

ويبين هذا الوجه الرابع :

= فأنت تدعي كملحد أن التناقض وجوده ممكن فيصح أن يقال: الله يخلق صخرة لا يستطيع حملها وهو في نفس الوقت على كل شيء قدير.

= ويصح أن يقال: يخلق مخلوقا غير مخلوق.

– فلو قالوا: هذا تناقض ممتنع وجوده .

= قلنا: فالممتنع وجوده عدم لا تتعلق القدرة به، والله قادر على خلق كل شيء لا على خلق اللا شيء.

– فإن قالوا: ممكن، سقطت حجتهم.

= لذا قال لهم العقلاء: إن شبهتكم مبنية على عدم فهمكم لها.

فلو كان الممتنع لذاته كاجتماع النقيضين مستحيل الوجود فهو عدم لا تتعلق القدرة به.. ولو كان ممكن الوجود فالله قادر عليه وأنت لا تستطيع أن تنفي هذا كملحد لأنك قلت إنه ممكن!

لذا عليك كمسلم فهم معتقد المخالف، فهو يظن أن اجتماع النقيضين ممكن، وبينت هذا سابقا ورددت عليه لكن نلزمه بقوله.

فلو كان المستحيل لذاته ممكنا كاجتماع النقيضين فلن تستقيم له أية شبهة على الإطلاق سواء هذه أو غيرها، ولو عاد لقول العقلاء تبطل شبهته.

والحمد لله الذي عافانا مما ابتلاهم به.

* * *

مبحث
هل عدم معرفة ماهية الخالق تمنع وجوده؟

لعل القارئ يتتبع حجج المخالف للدين والرد عليها، هل لاحظتم كيف أن هؤلاء ضعفاء؟ وأن حججهم ﴿كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾ [النور ٣٩].

والآن سأذكر شبهة جديدة، نشروها بكل مكان وظنوا أن شبهتهم هذه تهدم أدلة وجود الله.

وبالرغم من ضعف شبهتهم سأذكرها وأرد عليها بتفصيل حتى يرى المؤمن بل والملحد الذي يقرأ الكتاب، كيف أن كل شبهة يتبناها أهل الإلحاد تبين أن منهجهم في الرد على أهل الحق منهج ضعيف هش لا يقف أمام حجج أهل الأديان فضلا عن حجج المسلمين..

وصورة الشبهة كالآتي:

- يقولون: ما لا نعلم ماهيته لا نعلم وجوده.
- قالوا: أنت كمؤمن لا تعلم ماهية هذا الخالق .
- قالوا: ولا تراه ومع هذا تؤمن بوجوده .

انتهى.

= قلت: وقولهم هذا مبني على عدم فهمهم لمحل النزاع، فنحن نعلم وجود الله تعالى بالفطرة والعقل وغير ذلك من الأدلة.

وهذه أدلة تفيد إثبات وجود الخالق لا معرفة كيفية ذاته وصفاته، ألا ترى أنك تعلم وجود كاتب لهذا الكلام رغم أنك قد تكون لم تره؟ ولا تعلم لون بشرته، كمثال..

ولله المثل الأعلى، فعدم معرفة ماهية الشيء لا يمنع أن له ماهية فضلا عن أنه لا يمنع من إثبات جوده.

- أما قولهم: لا يمكنكم رؤيته، فهذا لعدم فهمكم لدين الإسلام.

فرؤية الله جائزة عقلا عندنا وهي خاصة بالمؤمنين يوم القيامة.

- قال تعالى:

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة ٢٢-٢٣]. فنحن نعتقد أنه يجوز رؤيته.

- فإن قالوا: لكننا لا نراه بالفعل.

= قلنا: هذا لا يمنع وجوده، بل هو موجود بالأدلة الأخرى التي لا تستطيعون الرد عليها بفضل الله.

وهناك بيان بسيط هنا:

= أتقولون أن كل ما لم نره يمتنع وجوده؟

- إن قالوا: نعم، خالفوا العقل والحس، فأنتم كل يوم ترون أشياء جديدة ومع هذا لم تكن ممتنعة الوجود حتى رأيتموها!

وهذا لا يقوله من يفهم ما يقول.

ولعل المسلم العاقل لو رأى تلك الشبهات حمد ربه على عقله

فهؤلاء لا ينفعهم عقل ولا حس.

- قال تعالى:

﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان ٤٤].

فشبهتهم مبنية على شيء مخالف للعقل وللعلم، فالعلم دائما ما يكتشف أمورا جديدة لم تكن معلومة ولا مرئية من قبل لأحد سوى الله تعالى، ولم يقل عالم أن تلك الاكتشافات العلمية كانت ممتنعة ثم أصبحت بعدما رأيناها ممكنة الوجود، هذا لا يقوله عاقل ولا مجنون، ولكن الأدنى من ذلك كالملحد فقط هو من يفكر هكذا.

والقصد أن كل موجود تصح رؤيته وليس كل موجود وجبت رؤيته، وهذا ما نراه بالواقع والعقل جزم به، فمن جعل كل موجود وجبت رؤيته.. ألزمناه وقلنا له:

أنت ما رأيت عقلك، فعقلك غير موجود، وقولك كل موجود تجب رؤيته قضية عقلية، وأنت بلا عقل لأن عقلك لو كان له وجود لوجب رؤيته.

فتأمل هذا الإلزام ولعلهم يهتدون!

* * *

مبحث
ختام مبحث براهين وجود اللّه

والآن في الختام نبيّن الحجج بشكل مجمل، وتفصيلها قد سبق ونربطهم ببعض إن شاء الله تعالى.

فالدليل الأخلاقي دال على كون الفطرة شعورا عند كل الناس ولا عبرة لمن ينكرها، إذ لو قال لي أحد: أنا لا أتكلم، رغم أنه يتكلم فلا عبرة لإنكاره!

ودليل الإمكان حجة مع دليل الافتقار يتبين بهم أن الإنسان دليل على وجود الله، فانظر لنفسك فأنت موجود.

والعدم مع العدم لن يعطوا وجودا كما أن صفرا مجموعا إلى صفر لن يعطينا واحد!

فيلزم أن الموجود الأول أزلي، لأنه لو كان الوجود له بداية للزم أن العدم أنتج وجودا وهذا ممتنع، وتفصيله قد سبق.

فوجود الإنسان يدل على وجود خالق أول أزلي قطعاً، والشر مع الخير يدلان على وجود خالق له إرادة وعلم، لتماثل الخير والشر عند الطبيعة العمياء، فيلزم من هذا وجود خالق يجعل وجود الخير والشر بدلاً من الشر وحده كمثال، وتفصيله[1] سبق.

والعلم دل على وجود خالق بالضبط الدقيق.

– فإن قالوا: هل الله كان لا يقدر على أن يخلق كوننا هذا دون تلك الثوابت؟

---

(١) راجع مبحث معضلة الشر حجة ضد الملحد

= قلنا: بل قادر، ولكن حجة الثوابت الكونية تدل على امتناع وجود ضبط دقيق دون خالق عليم.

ولا تدل على امتناع وجود الكون بثوابت أخرى لو أرادها الله.

فالغاية من الحجة هي إثبات امتناع أن يكون خالق كوننا هو الطبيعة أو كون آخر هو من خلق هذا الكون المنظم هذا التنظيم.

بل أن هناك خالق عليم هو من خلقه.

والواجب الالتزام باللفظ الشرعي، فلا يقال «خالق ذكي» بل عليم

والصواب أن كل مسلم ربوبي، والملحد خالف كل أهل الأرض عندما نفى وجود خالق والخالق غير مخلوق كما بينا.

وتقبل الله منا الطاعات، وزادنا وإياكم فوق اليقين يقينا.

وما من شبهة يذكرها الملحد يظنها تنفي وجود الله إلا وأثبتنا بها وجود الله، وهذا يبين لنا أن هؤلاء لم يتفكروا أبدا ولو تفكروا ما ألحدوا.

فالحق أن وجود الخالق مسألة عقلية بل وفطرية بكل إنسان، ومنكروا هذا من الملحدين أو غيرهم هم مخالفون للفطرة ولأنفسهم وعميت أبصارهم عن الحق الظاهر.

انتهى بهذا مبحث إثبات وجود الخالق.

والمبحث القادم متعلق بمعرفة أدلة بعض صفات الخالق وإثبات وجوب وحدانيته إن شاء الله تعالى.

* * *

صفات الخالق

مبحث
مقدمة في مبحث الصفات

- قال تعالى:

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة ٢٥٥].

- وقال تعالى:

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه ١١٠].

فبين تعالى أنه أعلم بنفسه منا.

وإنه مهما علمنا عنه من صفات فلن نعلم عنه كل شيء، بل سنعلم البعض الذي يسر لنا أن نعلمه فقط، إذ أن الإحاطة بالمخلوق من كل وجه منتفية، فما بالك بالله العظيم؟

ومعرفة الله عز وجل بالنقل أو بالعقل لها ضوابط نبينها بمبحث منفصل بعون الله تعالى.

ونبين كيفية ضبط الأدلة العقلية الموافقة للنقل، حيث أن العقل الصريح لا يتعارض مع النقل الصحيح، بل إن النقل قد دل على أفضل الحجج العقلية، فقد دل عليها إما بالتضمن أو باللزوم أو بالمطابقة، كقياس الأولى وغيره.

ودلالات التضمن والمطابقة والالتزام لها شروحات نافعة، ومن أراد فهمها فعليه بالقواعد المثلى لابن عثيمين -رحمه الله-.

فقد شرح هذه القواعد بشكل تفصيلي ينفع كل طالب علم.

وأما قياس الأولى وغيره من براهين الكتاب العقلية التي لن تخالف أي نقل فهي قادمة إن شاء الله تعالى في هذا الباب في الحديث عن الصفات.

وأهل السنة وهم أهل الحق، مجمعون على أننا لا نصف الله إلا بما وصف به نفسه، من غير تمثيل ولا تعطيل ولا تأويل ولا تكييف.

وأدلة إثبات الصفات للخالق كثيرة، فقد دل العلم بل والعقل على كثير من صفات الخالق، وجاء النقل الصحيح موافقا لما دل عليه العقل الصريح، لأنهم بالضرورة لا يتعارضان.

ويجب على كل مسلم أن يعلم أنه من الممتنع أن يوجد برهان عقلي يثبت صفة من الصفات إلا وقد جاء النقل بذكر هذه الصفة، وهذا ليعلم الناظر أن الذي دل عليه العقل الصريح من إثبات الصفات إنما وافق الدين الإسلامي من كل وجه، وسنبينه، وقد يوافق الأديان الأخرى من بعض الوجوه لا كلها.

وكذلك على المسلم أن يعلم بأن من المستحيل أن يوجد برهان عقلي صحيح يمنع اتصاف الخالق بصفة من صفات النقص، ويكون النقل الصحيح جاء بإثبات هذه الصفة.

مثال: البرهان العقلي الصحيح دل على امتناع اتصاف الخالق بصفات النقص مثل القهر والضعف، وكتاب النصارى مليء بإثبات القهر والضعف للإله، فعلمنا بهذا بأن كتابهم ليس نقلا صحيحا عن رب العالمين.

والعقل يعرف بالبرهان اتصاف الخالق بالوحدانية والعلم والإرادة وصفة المحبة والعلو وغيرها من الصفات التي جاء بها النقل الصحيح من الكتاب والسنة.

ومبحثنا هذا سيهتم ببيان وجوب اتصاف المسبب الأول بالصفات، ثم نذكر بعض الصفات التي يمكن الوصول إليها بالعقل الصريح،

سواء بقياس الأولى أو بغيره من الأقيسة العقلية الصحيحة والتي فهمناها من براهين الوحي العقلية على الكافرين.

فسأشرح إن شاء الله هذه الأقيسة العقلية، وأهتم ببيان وجودها في كتاب الله، وأنها أقيسة بدهية لا يصح لعاقل ألا يتبعها، وأبين أن هذه الأقيسة كما أنها تثبت وجود الخالق فكذلك تثبت وجوب اتصاف الخالق بالصفات كما أنها تثبت وجوب اتصافه بصفات الكمال كالعلم والقدرة.

وسأرد على كل شبهة أعرفها للمخالفين من أهل الإلحاد حول الصفات إن شاء الله تباعاً.

والله الموفق.

* * *

مبحث
شرح قياس الأولى وعلاقته بصفات اللّه

وقياس الأولى موجود بالكتاب والسنة، وهو ثابت عند العقلاء، وهو قياس عقلي صحيح، خاطب الله به العقلاء وهذا يرد على من ظن أن القرآن لا يوجد فيه أدلة عقلية كافية تبين للعقلاء وجود الله ومعرفة صفاته، وهي براهين عقلية قرآنية، وهذه البراهين توافق بقية النصوص في القرآن كذلك، وهذا أصل هام، فقد تجد في كتب اليهود والنصارى قاعدة عقلية صحيحة وموافقة للفطرة، لكنها قد تخالف بعض نصوص الكتاب نفسه، وهذا ولله الحمد لن تجده في القرآن.

وكما ذكرت فإن المولى عز وجل يستعمل في حقه قياس الأولى، وأما قياس التمثيل والشمول فأقيسة لا تجوز في حق الله ونُبين هذا تباعاً إن شاء الله ويستخدم في حقه تعالى قياس الأولى.

- قال تعالى:

﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل ٦٠].

وقياس الأولى: هو أن كل صفة كمال من كل وجه بالمخلوق فالله أحق بها.

وهذا قياس بدهي خاطب به النبي ﷺ أصحابه، فعن عمر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لأصحابه: "أترون هذه المرأة طارحة ولدها في النار؟ قلنا لا والله، وهي تقدر على ألا تطرحه، فقال رسول الله ﷺ: لله أرحم بعباده من هذه بولدها".(١)

(١) أخرجه مسلم في الصحيح « كِتَابٌ: التَّوْبَةُ » بَابٌ: فِي سَعَةِ رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى حديث رقم ٢٧٥٤

• **تنبيه:**

يستعمل قياس الأولى في التنزيه كما يستعمل في الإثبات، فلو كانت هناك صفة ثبت أنها كمال من كل وجه، بغض النظر عن إضافة الصفة إلى المخلوق أو الخالق، مثل صفة العلم، فنحن نعلم بالضرورة أن من يتصف بالعلم أكمل ممن لم يتصف به، بغض النظر عن أن يقال أن المتصف بالعلم شجر أو حجر أو بشر، وبغض النظر عن أن يقال أن المتصف به الخالق أو المخلوق، فمعرفة أن صفة العلم كمال، مسألة تعرف بغض النظر عن تحديد الموصوف بها، ولما تبين أنه يجوز للمخلوق أن يتصف بها، فالخالق أحق بأن يتصف بها من باب أولى، وما تنزه عنه المخلوق من النقص، فالخالق أحق بأن يُنزه عنه.

• قال تعالى:

﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الروم ٢٨].

فبين سبحانه أن هؤلاء المشركين من خلقه ينزهون أنفسهم عن أن يشركوا معهم مماليكهم، فكيف لا ينزهون الله عن الشريك من باب أولى؟

وهذا برهان عقلي ظاهر، فلو قيل إن الطفل الصغير الضعيف يقدر على حمل الهاتف فالرجل الكبير القوي قادر على هذا من باب أولى..

والناس تتعامل بهذا القياس في كل وقت، مثل أن يقال إن هذا الرجل يفرح بالقليل، فبأن يفرح بالكثير من باب أولى، وأن يقال إن هذا الرجل يصبر على أن يموت ابنه ويكون حامداً شاكراً، فأن يصبر على إصابة ابنه أمر ضروري من باب أولى..

كذا في صفات الله، فنحن نقول: إن كان المخلوق مفتقراً للخالق والخالق غير مفتقر إلى شيء، فإن كانت هناك صفة كمال من كل وجه ويتصف بها المخلوق، فأن يتصف بها الخالق من باب أولى، وهذا واجب في حقه لعظمته ولغناه عن خلقه وافتقار صفات الكمال في خلقه إليه، فهو الذي خلق صفة الكمال في خلقه، فأن يتصف هو بها من باب أولى..

– فإن قالوا: ألا يلزم من هذا قياس الغائب على الشاهد؟ فأنت تنظر للشاهد فتنفي عن الخالق ما تنزه المخلوق عنه وتثبت للخالق ما ثبت للمخلوق من كمال؟

= قلنا: استعمال قياس الغائب على الشاهد يصح في هذا الحال، فنحن بعد أن علمنا بغنى الغائب وهو الخالق، وفقر واحتياج المشاهد من المخلوق إلى الخالق، علمنا بأن هذا الغائب منزه عما تنزه عنه الشاهد من الخلق، وأنه متصف بما اتصف به الخلق من صفات الكمال من كل وجه.

مع التحفظ على لفظ الغائب في حق المولى عز وجل، ولكن هؤلاء يقصدون بالغائب الذي هو غائب عن الأبصار في الدنيا، ويعنون بالشاهد الذي نراه أو نسمعه بالحواس في الدنيا، وهذا المعنى صحيح، ولكن لفظ الغائب لفظ مجمل يحتمل معنى حقا ومعنى باطلا، فلو أُريد به ما سبق فالمعنى صحيح، ولو أُريد به أن الله لا يسمع دعاء خلقه ولا يعلم ما يسرون وما يعلنون، فهذا المعنى باطل شرعا وعقلا.

= ثم يقال: إن ما كان كمالا لذاته بغض النظر عن إضافته إلى الخالق أو إلى المخلوق، يجب أن يتصف الخالق به، وإمكان اتصاف الخالق به حاصل، فالمخلوق متصف بهذا الكمال فالخالق يجوز له الاتصاف به من باب أولى، وما كان نقصا لذاته بغض النظر عن الإضافة، يجب تنزيه الخالق عنه، والكمال

لذاته بغض النظر عن الإضافة للخالق أو للمخلوق له عدة أمثلة مثل صفة القدرة، فصفة القدرة كمال لذاته بغض النظر عن إضافة هذا الكمال للخالق أو للمخلوق، والمرض نقص لذاته بغض النظر عن إضافته للخالق أو للمخلوق.

والقصد أن قياس الشاهد على الغائب لا يصح في مواضع مثل أن يقال "البشر يموتون بسرعة إذا الملائكة كذلك" فهذا لا ينضبط عند العقلاء، فالمستعمل في قياس الغائب على الشاهد هو قياس الأولى، أما قياس الشمول وهو أن نجعل حكم الغائب كحكم الشاهد لتماثل الغائب مع الشاهد فهذا لا يعرف إلا عن طريق الوحي أو الخبر، أما العقل فلا، فنحن لا نقول إن كل المجرات التي لم نشاهدها هي مثل مجرتنا من كل وجه! لأن هذا لا يعلم بالعقل ولا يوجد من رأى هذا فأخبرنا به، خلافا لقياس الأولى، فنحن نعلم بعض صفات الغائب التي تستلزم أن يتصف الغائب بهذه الصفة أو ينزه عن تلك الصفة، مثل أن يقال بأن الملائكة بلا شهوات، والبشر عندهم

شهوة، وهناك من البشر من يلتزم بالطاعات بالرغم ما فيه من شهوات، فأن تلتزم الملائكة بالطاعات من باب أولى.

وهذا ظاهر عند كل عاقل والحمد لله.

وقياس الأولى يستعمل في إثبات كثير من الصفات عقلا، مثل أن يقال: ثبت أن الكلام كمال لذاته بغض النظر عن إضافته إلى الخالق أو إلى المخلوق، ثم يقال: والمخلوق جائز أن يكون متكلما، فالخالق لكل شيء من باب أولى أحق بهذا الكمال من المخلوق الناقص.

- قال تعالى:

﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف ١٤٣].

• وقال تعالى:

﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء ١٦٤].

وكذلك نعلم ببداهة العقل أن الذي يتكلم بكلام متعدد متى شاء، أكمل ممن هو كلامه معنى واحد ليس بمشيئته، فالصفة الأولى كمال بغض النظر عن إضافتها إلى خالق أو إلى المخلوق، والصفة الثانية نقص، فالعقل الصريح يقر بأن من يتكلم بمشيئته أكمل ممن لا يتكلم بمشيئته، والمخلوقات منها من يتكلم بمشيئته، فهذا كمال جائز للمخلوق فأن يتصف به الخالق من باب أولى.

• قال تعالى:

﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف ١٠٩].

فالعقل الصريح جاء موافقا للنقل الصحيح.

وهكذا يستعمل هذا القياس في كثير من الصفات، وسأبين هذا عند الحديث عن الصفات الأخرى إن شاء الله.

ولكن القصد أنه قياس قرآني وعقلي يثبت الصفات عقلاً، ويبين أن القرآن فيه حجج عقلية أسلم وأحكم من حجج الفلاسفة والمتكلمين ممن أعماهم الله عن تلك البراهين النقلية.

وبرهان صحة هذا القياس أن يقال: هذا قياس بدهي فهو دليل في ذاته، والناس كلها تتعامل به لكونه من العلوم الضرورية كالسببية وغيرها.

أو نستدل عليه فنقول إن الإنسان أدنى والخالق أعلى، حيث أن الإنسان مفتقر للخالق والخالق غير مفتقر إليه.

= فيقال: إن كان المفتقر منزها عن النقص فذات الغني كما استحقت الغنى، فكذلك استحقت التنزيه عما تنزه عنه المخلوق، واستحقت الكمال الذي لا نقص فيه.

ولله العلم والمنة.

* * *

مبحث
براهين صفة الوحدانية للّه تعالى

الوحدانية هي أن تفرد الله في ذاته وفي صفاته وفي أفعاله، فتوحد الله في ربوبيته فتقر بأن الله هو الخالق البارئ وهو رب كل شيء وأن لا شيء يخرج عن ملكه بل كل شيء ملك لله وحده.

- قال تعالى:

﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُ ﴾ [الحشر ٢٤].

- قال تعالى:

﴿قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِي رَبّٗا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيۡءٖۚ ﴾ [الأنعام ١٦٤].

فهذا من توحيد الربوبية.

ومما يجب كذلك أن توحد الله في العبادة فإن الإقرار بتوحيد الربوبية دون توحيد العبادة تناقض، كيف تدعي بأن الله رب كل شيء ومالك كل شيء ثم تعبد غيره؟ لذا فقد كفر من وحد الله في ربوبيته ثم لم يوحده في العبادة "مثال ابليس"

- قال تعالى:

﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَۖ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾ [الأعراف ١٢].

فأقر ابليس بتوحيد الربوبية وأن الله هو الذي خلق أدم، ولكنه لم يطع الله فكفر بسبب إشراكه بالله هواه في العبادة.

وهذا بعينه ينطبق على قوم إبراهيم عليه السلام.

- قال تعالى:

﴿ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء].

فقد بين إبراهيم عليه السلام أن هؤلاء القوم كانوا يعبدون الله وكانوا يعبدون غيره، ثم قال لهم أن كل من تعبدونهم أعداء لي إلا الله، وهذا يدل على أنهم كانوا يعبدون الله ولكنهم يشركون به سواه.

وكان المشركون من قريش يقرون بأن الله خالق كل شيء، ثم يعبدون غيره!

- قال تعالى:

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [العنكبوت].

لذا فإن الله قد ألزمهم بما يقرون من الحق، فكيف تقر بأن الله خالق كل شيء ثم تعبد غيره؟

ومما يجب كذلك توحيد الله في أسمائه وصفاته وتوحيد الله جاء في كثير من نصوص الوحي، وهو موافق للعقل الصريح كما سأبينه تباعا.

- قال تعالى:

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص ١].

= وإثبات التوحيد لله هي أول دعوة للرسل.

- قال تعالى:

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف ٦٥].

لذا فإن أول واجب على المكلف هو التوحيد.

- قال تعالى:

﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد ١٩].

وأدلة التوحيد العقلية كثيرة في القرآن الكريم.

- قال تعالى:

﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٖ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنۡ إِلَٰهٍۚ إِذٗا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهِۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [المؤمنون ٩١].

= ومن بيان هذا الدليل أن يقال:

أنّا لو قدرنا وجود إلهين اثنين تنزلا، ثم فرضنا أن أحدهما يريد أن يخلق إنسانا حيا والآخر يريده ميتا، فقد افترضنا إرادة أحدهما لأحد الضدين وإرادة الإله الثاني للخيار الثاني فلا يكون عندنا إلا ثلاثة احتمالات:

*أن تنفذ إرادتهما فيكون الإنسان حيا وميتا معاً.

*أو لا تنفذ إرادتهما فيكون الإنسان لا حيا ولا ميتا.

* أو تنفذ إرادة أحدهما دون الآخر فإما أن يكون حيا أو ميتا.

واستحال أن تنفذ إرادتهما معاً لاستحالة اجتماع الضدين، فلا يكون إنسان حيا وميتا معاً، واستحال أيضاً ألا تنفذ إرادتها فيكون لا حيا ولا ميتا، فخلو المحل أي الإنسان عن كلا الضدين ممتنع، فلا يعقل وجود إنسان لا حيا ولا ميتا، وهذا كله معلوم عند العقلاء فإذا بطل القسمان وجب الثالث.

أن تنفذ إرادة أحدهما دون الآخر، فالذي لا تنفذ إرادته فهو المغلوب المقهور، والذي نفذت إرادته، فهو الإله القادر على تحصيل ما يشاء، وهو المطلوب.

- فإن قيل: ألا يجوز أن يتوافقا، وألا يختلفا مطلقا؟

= قلنا: إن كنت تعني أنه قد تتوافق إرادة كل منهما وقد تختلف كذلك، فهذا لا يرد على البرهان، لأنهم وإن اتفقوا على إرادة شيء واحد، فإن الاختلاف بينهما جائز، ولو اختلفوا فسيقهر أحدهما الآخر، فيكونا وإن اتفق كل منهما مع الآخر على فعل شيء معين، فإن هذا لا يمنع من أن اختلافهما جائز، فيكون جائزا عقلا على أحدهما أن يكون مقهورا.

مثال هذا: لو أن زيدا اتفق هو وعمرو على تقسيم الميراث، فإنهم وإن اتفقا على هذا فإنه من المعلوم أنهم إن اختلفوا فسيقهر أحدهما الآخر، فيكون جائزا عقلا على أحدهما أن يكون مقهورا، وهذا أمر ظاهر فإنك أيها القارئ يجوز أن تقرأ كتابي هذا ويجوز ألا تقرأه، وليس معنى أنك قرأته أنه كان مستحيلا عليك أن لا تفعل! بل كان من الممكن ألا تقرأ من البداية، فاتفاق الإلهين على فعل معين لا يمنع من جواز اختلافهم وجواز القهر والغلبة على أحدهما، فلا يكون هو الإله سواء اتفقا أم لا..

وهذا يدل عليه مثال بسيط وظاهر للعقلاء، فإن الملك والجندي لو اتفقا على سجن أحد أفراد الشعب، فبالرغم من أنهم اتفقا فإنه من المعلوم أن لو اختلفا لكان الملك قاهرا والجندي مقهورا، فيكون القرار الأول والأخير للذي يستطيع أن يكون قاهرا عند اختلاف إرادة كل منهما، سواء اختلفوا أم لم يختلفوا.

فإذا تبين لك هذا فإن الإلهين وإن اتفقا فإن قدرة أحدهما تعلو قدرة الآخر، مما يستلزم أن يقهر أحدهما الآخر إذا حدث خلاف.

- فلو قيل لنا: إن الاختلاف بين الإلهين عند فرض وجودهما ممتنع عقلا.

= قلنا لهم: إن ادعاء القول باستحالة اختلافهما بالإرادة ادعاء خاطئ ومستحيل عقلا.

وهذا لأنه عند فرض استحالة اختلافهما، فإن إرادة وقدرة الإله الأول لن تمنع الإله الثاني من أن يريد ما يصح عقلا إرادته لو كان منفرداً وحده، مثال هذا أن إرادة هذا الإله لوجود المخلوق ممكنة عقلاً.

فإن كان الإله الثاني ذا إرادة، والأول كذلك، امتنع مع هذا أن تكون إرادة الإله الأول لخلق زيد مانعة لجواز إرادة الإله الثاني لعدم خلقه، لأنها لو كانت مانعة له لكان مقهورا، وهو المطلوب.

وحسب فرض هؤلاء باستحالة اختلافهما، فإن فرضهم يستلزم بأنه من الممتنع على هذا الإله أن يريد الحياة للإنسان إن كان الإله الآخر لا يريد الحياة لهذا الإنسان، ويمتنع كذلك أن يريد الحياة لزيد ويمنع الإله الآخر من أن يريد خلاف هذا لأن الآخر حينها سيكون مقهورا فلا يستحق بأن يكون إلاها، ثبت لنا أنه لا يمكن أن يقال بامتناع اختلافهما إلا لو قيل إن أحدهما قهر الآخر ومنعه من أن يريد خلاف ما يريد هو، والمقهور مخلوق، ولو قيل بأن كلا منهم قهر الآخر فهذا يمنع إلهية كل منهما.

فيكون الإله شيء آخر غيرهم.

= ثم يقال: لو أن الإله الأول لن يريد إلا ما أراده الإله الثاني، والعكس صحيح، فإن هذا يستلزم أن الإله الأول يمتنع عليه

الاختيار إلا بإرادة الإله الثاني، فيكون مفتقرا إليه، والإله الثاني يمتنع عليه الاختيار إلا بعد إرادة الأول فيكون مفتقرا إليه، والمفتقر المحتاج لا يكون إلاها.

= وكذلك يقال: بأنه مع فرض استحالة اختلافهما فإنه من الممتنع أن يريد أحدهما إلا والآخر أراد قبله، وهذا ممتنع لأن إرادة الأول تتوقف على سبق إرادة الثاني، وإرادة الثاني تتوقف على سبق إرادة الأول لها، وهذا كمن يقول، لن أريد السفر حتى يريد أبي قبل هذا، ولن يريد أبي السفر حتى أريد أنا قبل هذا.

فعلى هذا لن أريد أنا ولن يريد أبي.

فلو أن إرادة كل إله لا تكون إلا بسبق إرادة الإله الآخر، فلن توجد الإرادة لا لهذا ولا لذاك، فلا يكون هذا مختاراً ولا ذاك.

والأشياء يستحيل أن تحدث إلا بفعل خالق له إرادة، فلما كان كل منهما بلا إرادة، فلن يحدث شيء أصلاً.. وهذا خلاف المشاهد حولنا.

= وهناك برهان آخر يثبت امتناع وجود إلهين مستقلين أو متعاونين:

أما المستقلان: فلأن استقلال أحدهما بخلق كل المخلوقات (جملة المخلوقات) يوجب أن يكون الآخر لم يشركه في خلقها، فيكون الأخر لم يخلق شيئا لأن الأول خلق كل شيء بالفعل! فإذا كان الآخر مستقلاً وقيل بأنه خلق كل شيء أيضا، فيكون الأول خلق كل شيء وحده، والآخر خلق كل شيء وحده، لزم أن يكون كل منهما خلق جملة المخلوقات، وكل منهما لم يخلق جملة المخلوقات، لأنه لو كان الأول خالقا وحده لزم أن الأخر لم يخلق، ولو كان الثاني خالقا وحده لزم أن الأول لم يخلق، فلو قلنا إن كلا منهما مستقل عن الآخر وخلق كل شيء وحده، لكان كل منهما خلق وحده ولم يخلق وحده، وهذا جمع بين النقيضين ممتنع.

وأما المتعاونان:

– فإن قيل: إن كل إله منهما قادر على الاستقلال بخلق جملة المخلوقات (كل المخلوقات) في حال أن الإله الآخر مستقل بخلق جملة المخلوقات، لزم القدرة على اجتماع النقيضين وهو ممتنع.

= حيث أنّا نقول: هناك خالق خلق العالم ومستقل بخلقه، وهناك خالق آخر يستطيع خلقه لكنه لم يفعل، فهذا مستحيل، لأنه كيف يقدر على أن يكون مستقلاً بالخلق وهناك آخر مستقل بالخلق؟ إلا إن كان قادرا على قهره ولكنه لم يفعل، فيجوز على الآخر أن يكون مقهورا، فلا يستحق الألوهية.

فعلى هذا فلو قيل إن الإله القادر على الاستقلال بخلق كل الخلق، قادر على هذا رغم أنه لا يقدر على منع الإله الآخر من أن يستقل بفعل الخلق، سيكون حينها قادراً على الاستقلال بالخلق وغير قادر على الاستقلال بالخلق بنفس الوقت -تناقض- فإنه حال قدرة أحدهما على الاستقلال يمنع قدرة الآخر على الاستقلال، ولا يكونان في حال واحدة كل منهما قادر على الاستقلال، فهذا يكون قادراً على أن يكون مستقلاً وحده بالخلق والآخر كذلك قادر، فهذا يجعل كلا منهما قادراً على أن يكون مستقلاً، وهذا ممتنع لأنه حينها سيكون كل منهما قادراً على أن يلغي قدرة الآخر على الخلق، فيكون وجود قدرة كل منهما متوقفا على موافقة الآخر، فلا يكون أحدهما قادراً من نفسه.

والقصد أنهما إن كانا قادرين على الاستقلال، أمكن أن يفعل هذا مقدوره وهو أن يخلق كل شيء وحده، وأمكن الآخر أن يفعل مقدوره وهو أن يخلق كل شيء وحده، فيلزم اجتماع النقيضين، لأن وجود مقدور هذا ومقدور ذاك يستلزم أن كلا منهما خلق وحده ولم يخلق وحده، وهذا تناقض، أو يلزم من أن تكون قدرة أحدهما لا تكون إلا بتمكين الآخر له، وهذا ممتنع، لأنه على هذا الفرض لا يكون هذا قادرا حتى يقدر الآخر قبله، ولا يكون الآخر قادرا حتى يقدر الأول قبله، وهو دور قبلي مستحيل، ومثال الدور القبلي أن يقال، لن يوجد زيد إلا وعبيد موجود قبله، ولن يوجد عبيد إلا وزيد موجود قبله، فلن يوجد لا زيد ولا عبيد.

وهكذا هنا، فلو أن كلا منهما لا يكون قادرا حتى يعطيه الآخر قدرة، يستلزم أن كلا من الإلهين عاجزان عن فعل بعض الممكنات إلا بتقدير الآخر له، والعاجز لا يكون إلها، وكذلك هذا يستلزم الدور

لأن كلا منهما لا يكون قادرا إلا إن كان الآخر قادرا قبله، فلا يقدر لا هذا ولا ذاك.

وأيضا.. فيمكن أن يريد أحدهما ضد مراد الآخر، فيريد هذا تحريك جسم وهذا تسكين نفس هذا الجسم، فلو قدر أحدهما كان قاهرا لغيره، ولعلا على الآخر، ولو قدر كلاهما على فعل مرادهما لكان هذا ممتنعا لأن اجتماع الضدين ممتنع.

= ثم يقال: وإن لم يمكن لأحدهما إرادة الفعل إلا بشرط موافقة الآخر له، كان كل إله منهما عاجزاً وحده، ولن يكون قادراً إلا بموافقة الآخر.

وكذا إذا قُدِّر أنه ليس واحدا منهما قادراً على الاستقلال، بل لا يقدر إلا بمعاونة الآخر كما في المخلوقين، أو قيل: يمكن لكل منهما الاستقلال بشرط تخلية الآخر بينه وبين الفعل؛ ففي جميع هذه الأقسام يلزم أن تكون قدرة كل منهما غير متحصلة إلا بإقدار الآخر له وهذا ممتنع.

والقدرة شرط في الفعل فلا يكون الفاعل فاعلاً إلا بالقدرة، فإذا كانت قدرة هذا لا تحصل إلا بقدرة ذاك وقدرة ذاك لا تحصل إلا بقدرة هذا، كان هذا دور قبلي ممتنع.

كما لو قيل: لن أعطيك الطعام حتى تشرب قبلها.. ولن تشرب حتى أعطيك الطعام قبلها.. فلن يوجد لا زيد ولا عبيد.

وكما أنه ممتنع أن يقال الإله الأول هو خالق الثاني والثاني هو خالق الأول.. فكذلك بمثال القدرة، فلا يقال إن هذا لا يكون قادراً حتى يقدر الآخر ولا يقدر الآخر حتى يقدر الأول، وهذا بخلاف ما إذا كان ملازماً له أو شرطاً فيه، والفاعل غيرهما، فإن هذا جائز، كما في الأبوة والبنوة، فالأب لا يكون إلا بوجود الابن معه والعكس صحيح.

أما لو قيل: لا يكون الأب إلا والابن قبله ولا يكون الابن إلا والأب قبله فهذا كذلك ممتنع عند كل العقلاء.

وهذا الفرق بين (الدور الـ معي) و (الدور الـ قبلي)..

فالدور الـ معي كمثال الأب والابن.

والدور الـ قبلي كمثال لو قيل: لن تقرأ إلا لو أكلت الطعام ولن تأكل الطعام إلا لو قرأت قبلها.. فلن تأكل ولن تقرأ.

فثبت بكل هذه البراهين وجود خالق واحد إله واحد خلق كل شيء، وهو المطلوب.

وإذا كان خالق كل شيء، فلا يجوز أن نعبد غيره.

لذا فإن التوحيد يدل عليه العقل كما يدل عليه النقل، بل إن هذه البراهين كلها تحقيق لبراهين الوحي، وهي مفهومة من قوله تعالى:

﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [المؤمنون ٩١].

والقصد وأبلغ رد على من قال بأنه يجوز توافق الإلهين على نفس الفعل مثل إرادتهم تحريك زيد..

= فيقال: إن إرادة الأول بتحريك زيد لا تكون إلا بموافقة الإله الآخر له... وإرادة الإله الآخر لا تكون إلا بإرادة الإله الأول له قبلها... فلا يكون لا هذا ولا ذاك.

= ثم يقال: لو فرضنا وجود إلهين، فهناك صفات تميز أحدهما على الآخر، وإلا لكانا واحدا وليسا إثنين.

= فيقال: الصفة التي ميزت أحدهما إما أن تكون كمالاً أو نقصاً

فلو كانت كمالا فالخالق الآخر ناقص والناقص لا يكون إلها.

- فإن قالوا: يجوز أن يكون إلها وليس له الكمال.

= قلنا: هذا لا ينضبط عقلا، لأن الآخر المتصف بالكمال هو إله بصفاته، ومن صفاته الواجبة الأزلية الكمال، فثبت أن الكمال من صفات الإله لكونه واجبا له، ولو كان الكمال واجبا لأحدهما ممتنعا على الأخر، وكل منهما أزلي لا بداية له، لاستلزم وجود مسبب يسبب وجود الكمال بأحدهما دون الأخر، فيكون لكل منهما خالق! وهذا يناقض أزلية كل منهما.

فامتنع هذا الاحتمال بالأدلة العقلية الصريحة، وهو المطلوب.

وهذا البرهان الأخير لا محيد لهم عنه ولا يمكنهم رده بحال، ولذلك يحاولون التشكيك في حجية العقل دائما.

برهان آخر:

= أن يقال: هل يكفي في خلق العالم خالق واحد أم لا يكفي؟

- إن قالوا: لا يكفي، لكان كل منهما مفتقراً إلى الآخر، فلا يملك أحدهما لنفسه قدرة فضلاً عن أن يملك لغيره قدرة.

ولو كان يكفي في خلق العالم أن يخلقه أحدهما، كان الإله الذي خلق العالم لا يحتاج إلى الإله الآخر، وهذا نقص في الإله الذي لا يحتاج الخالق الآخر إليه، والمحتاج إليه كامل فهو الإله.

= ثم يقال: لو أن هنالك إلهين، إما أن يكون الأول قادراً على إثبات وجود نفسه لنا وأن يبين لنا تميزه عن الإله الآخر أو لا...

فإن كان قادراً فالبرهان العقلي الذي نعرفه به هو الفطرة واحتياج المخلوقات لخالق، وهذا لا يميز الإله الأول عن الثاني، ولو كان غير قادر فهو عاجز فلا يكون إلها.

برهان آخر:

= أن يقال: لو كان كل منهما قادرا على خلق زيد بعد أن كان زيدا معدوما، ثم أن الإله الأول خلق زيدا بالفعل، فالثاني حينها يمتنع عليه أن يخلق زيدا لأنه تم خلقه بعد عدم بالفعل، فقد انعدمت قدرة الآخر فكان الإله الأول قادراً على نزع قدرة الإله الآخر، فيكون وجود قدرة الإله الثاني متوقفة على الإله الأول، فيكون مفتقرا إليه، فيجب أن يكون المفتقر محتاجا للغني، والغني بذاته هو الخالق المنفرد بالخلق، وهو المطلوب.

= ثم يقال: إن القادر وحده أكمل من القادر بغيره، فتكون الوحدانية كمالا والشركة في الألوهية نقصا، فيكون كل منهما ناقصا.

وهذا برهان عقلي قطعي مبني على قياس الأولى الذي دل عليه النقل كما بيناه.

فلو كان الكمال ممكنا للمخلوق، فالخالق أحق به من باب أولى، فوجب أن يتفرد بقدرته وسلطانه وملكه، وهو المراد.

وأدلة وحدانية الله كثيرة وقد جمعت أبرزها التي توجد بالكتب المطولات واختصرت قدر الإمكان، مع بعض الإضافات.

فمن تدبر هذا علم وجوب وحدانية الله عز وجل.

- قال تعالى:

﴿ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [يونس ٦٢].

* * *

مبحث
إثبات وجوب اتصاف الخالق بالصفات

ومن المسائل البديهية عقلا والثابتة نقلا أن المولى عزّ وجل موصوف بالصفات، وأدلة هذا كثيرة، فإن كل موجود يجب أن يكون موصوفا بصفة يشترك بها مع غيره، مثل اتصاف الناس بالسمع والبصر، فهم يشتركون في هذا بل معلوم أن كل موجود يشترك مع غيره في صفة الوجود.

وهناك صفات أخرى يباين بها غيره، مثل أن الإنسان يتصف بالعلم، ويباين (يختلف) عن الجماد في هذا.

والصفات فيها ما هو كمال وفيها ما هو نقص ومن البديهي أن الموصوف بصفات الكمال أكمل ممن لا يتصف بها، فكيف بمن لا يجوز أن يكون موصوفا بأي صفة من صفات الكمال!

مثل أن يقال: العالم أكمل من الجاهل، فهذا أمر معلوم، فما بالك بالجماد الذي لا يمكن بأن يتصف بصفة العلم أصلا! فهذا أنقص من العالم بل ومن الجاهل الذي يجوز أن يكون عالما.

فإذا تبين لك هذا فإن قياس الأولى العقلي يوجب اتصاف الخالق بالصفات، فإن كان المخلوق يجوز أن يتصف بالصفات، وقبول

الاتصاف بالصفات كمال، خلافا لمن لا يمكن أن يتصف بها، فالعدم وحده هو الذي لا يتصف بالصفات.

فإن كان المخلوق متصفا بالصفات فالخالق من باب أولى، ولو فرضنا بأن الخالق لا يتصف بالصفات، فهذا معناه بأن المخلوق يجوز أن يتصف ببعض صفات الكمال، أما الخالق فيمتنع عليه هذا، وهذا مخالف للعقل بشكل ظاهر.

وفي هذا المبحث سأربط فيه بين قياس الأولى ودليل الوحدانية والتي أثبتنا وجوبها في حق الله تعالى في المباحث السابقة، وهذا باب مهم لكل طالب علم، حيث أنه يتعلم منه ما وجب اعتقاده في هذا الباب في الصفات شرعاً وعقلاً.

وقد اختلفت أقوال الفلاسفة وبعض أهل الكلام في إثبات الوحدانية.

- قالوا: الله واحد من حيث أنه لا يتعدد.

- قالوا: هو في ذاته لا تختلف فيه صفة عن صفة.

- وغلوا فقالوا: بل صفاته هي نفس ذاته فهو لا صفة له، بل ذات بدون صفات.

- قالوا: الواحد هو ما لا ينقسم والصفات مع الذات يعد انقساما.

- قالوا: وهذا غاية التوحيد.

= قلت: وهذا غاية الجهل.

ويرد على هذا من وجوه:

- الوجه الأول:

= أن يقال: إن الله تعالى بين أنه أحد فقال: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص ١]، والأحد في اللغة والشرع لا تكون إلا لمن له صفات.

- قال تعالى:

﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [البقرة ١٣٦].

وقوله لا نفرق بين أحد منهم لا يعني بأنهم بلا صفة! بل أن هؤلاء كلهم بشر مثلنا يتصفون بالصفات، والأحد في اللغة لا تكون بمعنى الذي لا ينقسم، فما من أحد من الناس يقال له أحد إلا وهو موصوف بالصفات..

فظهر لنا أن القرآن بين أن لفظ أحد لا يأتي إلا فيمن هو موصوف بالصفات وهذا ظاهر وهو موافق للغة العرب، والعقلاء لا يثبتون الوحدانية إلا بهذا الاعتبار.

- فإن قيل: وما دليل هذا عقلاً؟

= قلنا: أدلة هذا كثيرة، وأيسرها أن يقال: إن العقل دل على أن القرآن كلام الله، وهو أعلم بنفسه وقد أخبر عن نفسه بأنه موصوف بالصفات، وبما أن مبحث إثبات النبوة قادم، فأقول بقياس الأولى كذلك نثبت صحة القول بأنه سبحانه موصوف بالصفات.

حيث أن القابل للسمع والبصر أكمل ممن هو لا يسمع ولا يبصر فضلاً عن الذي لا يكون قابلا أصلا لهذه الصفات!

لذا لو قيل لك أن هناك موجودا بلا صفة ولا يقبل أي صفة من صفات الكمال، وقيل لك أن هناك موجودا غيره سميع بصير.

فالعقل يجزم بكمال الثاني ويجزم بنقص الأول، وبما أن الاتصاف بالصفات كمالا بالمخلوق فهو بالخالق من باب أولى، وهو المطلوب.

ودليل قياس الأولى عقلي ونقلي بل هو من الضروري بكل إنسان، ومن تدبر هذا علم أن الأدلة العقلية التي في القرآن أعظم من غيرها.

= ثم نعود للمسألة فنقول: لو قيل للناس هذا لا صفة له، وقلنا: الآخر عليم كريم رحيم متكلم متى شاء بما شاء بنفسه وهو فوق الجميع بنفسه وله إرادة يفعل بها ما شاء... إلخ، علمنا أن الثاني أكمل من الأول عند العقلاء، وبما أن الخالق أكمل من المخلوق، كان الخالق أحق بصفات الكمال من المخلوق، ومن المعلوم بأن هذه الصفات لا نقص فيها.

خلافاً للأبوة فهي كمال في المخلوق لكون المخلوق ناقصا فيحتاج إلى من يكمله كالابن، وأما الخالق فكامل لا يحتاج، وهذا دال على أن قول النصارى باطل كذلك، والرد عليهم له موضع[1] آخر إن شاء الله تعالى.

= ثم يقال: لو قيل لك: سيكون لك ولد لا يعلم ولا يبصر ولا يسمع ولا يتكلم وليس له صفات ...

وآخر فيه كل تلك الصفات، ستنزه ولدك عن القول بأنه بلا صفات بالضرورة، وعن نفي كل هذه الصفات عنه خاصا وأنها من صفات الكمال.

ألا ترى بأننا أحيانا إذا انتقصنا من أحد، ننفي عنه صفات الكمال؟ مثل أن نقول، ألا ترى! ألا تسمع!

فكيف لنا بخالق الأب والابن بل وبخالق كل شيء كما بيناه؟!

فمن باب أولى أن يكون هو أحق بتلك الصفات من المخلوق، وهو المطلوب.

وهناك رد آخر:

= فيقال: الوحدانية التي أثبتموها لا عقلية ولا لغوية ولا نقلية إنما هي تابعة لهوى النفس ومن جنس سفسطات الملحدين التي لا آخر لها.

---

(١) سيذكر المؤلف في الجزء الثاني من الكتاب مبحث مناظرة اليهود والنصارى في النبوات.

= فيقال: لا يعقل وجود ذات لا توصف بالصفات ولا يتميز منها صفة عن صفة، فحتى أصغر الأشياء أو الذوات وجوداً يمكن وصفها بأنها صغيرة وأنها موجودة وأنها بحاجة للغير.

وأما الخالق فقد أثبتنا أنه مسبب كل شيء فهو لهذا الاعتبار خالق، وفعل الخلق يقوم بنفسه وهو شيء يختلف عن كونه موجودا فالعبد

موجود وله ذات ومع هذا لا يخلق بشرا ولا حجرا، والخالق موجود وله ذات ومع هذا فهو خالق كل شيء.

فنعلم بهذا بأن كونه خالقاً صفة غير ذاته بل هي صفة لذاته، وهو المطلوب.

والعجب ممن أثبت كونه خالقاً ثم نفى أنه موصوف بتلك الصفة، وهذا من التناقض!

ونلزم الملحد بهذا، فنحن قد أقمنا الدليل القاطع على أنه تعالى غنيا يفتقر إليه الجميع فهو خالقهم يقيناً، وصفة الغنى غير صفة الخلق، كما أن سمع المخلوق غير بصر المخلوق، وكلاهما صفات لذات واحدة، والقصد أن الحجة تثبت بأن الخالق موصوف بالصفات بشكل ظاهر بحمد الله بما بينا من أدلة العقل والنقل.

ثم إن الفطرة دلت على هذا فكل العباد يريدون أن يكلمهم ربهم أو أن يروه ويرجون هذا في أصل خلقتهم، بل ويرجون رحمة الله وعفوه، وكل هذا دال على أن فطرتهم تثبت له الصفات، وإنما تغيرت هذه العقيدة السليمة عند بعض الناس بسبب كثرة الشبهات وعدم التحصن بالأدلة الموافقة للعقول الموجودة في الكتاب والسنة، فالعقائد الفاسدة تظهر عند وجود الشبهات وكثرة الأهواء التي تعسر الالتزام بالدين،

فتهوى النفس اتباع الشبهة، فهذا كله يحدث بعد أن يتبع الإنسان هواه، لا بأصل الخلقة.

= فلو قيل لطفل صغير أو رجل كبير لا يفهم شبهات الناس: أترجو رؤية الله وأن يرضى عنك ويكلمك بنفسه؟ سيقول: نعم.

بل إن الناس تثبت لموسى عليه السلام الفضيلة لكونه كليم الله، وعلمهم أنها فضيلة أمر فطري، لأن أعظم الموجودات وهو الله سبحانه كلمه، فهذه بالضرورة فضيلة.

فعلمهم بأن الله تعالى موصوف بالصفات أمر فطري، وهذا لا تواطؤ فيه بين الناس، بل هم يتفقون على هذا بأصل فطرتهم لا بتواطؤهم معا على هذه المسائل.

فتبين لنا أن هذا من العلم الضروري، فمن المعلوم بأنه جائز عليه سبحانه أن يتصف بصفات الكمال، بل إنها واجبة له كما سأبينه إن شاء الله، فتبين صحة كونه موصوفاً بالصفات بالعقل والنقل والفطرة وبيان كل صفة وأدلتها قادم إن شاء الله تعالى.

* * *

مبحث
وجوب الكمال للّه وتنزيهه عن النقص

وهذا مبحث هام متعلق بقياس الأولى المشروح سابقاً، وكذلك كل ما بعد هذا المبحث متعلق به، وفيه إثبات أن الله عز وجل يجب له الكمال، ويمتنع عليه النقص.

فما عرف بالضرورة بأنه كمال بغض النظر عن إضافته إلى المخلوق أو إضافته إلى الخالق، مثل العلم والسمع والبصر والعلو، فهذه كلها من صفات الكمال سواء كانت مضافة إلى المخلوق أو إلى الخالق، ونحن نعلم بالضرورة بأن المتصف بها أكمل من الذي لا يتصف بها، ثم أن بعض المخلوقات يجوز في حقها أن تتصف بصفات الكمال هذه، فأن يجوز أن يتصف بها الخالق من باب أولى.

وكلامنا هنا عن صفات الكمال التي تكون كمالا بالضرورة إذا أضيفت لأي موجود.

فكل موجود يتصف بالعلم أكمل ممن لا يتصف به، وكذلك يقال في التنزيه، فإن هناك بعض الصفات تكون نقصا في بعض الموجودات وكمالا في بعضهم، وكلامنا عن النقص الذي يعرف بأنه نقص إن أضيف لأي موجود، مثل الضعف والظلم، فنحن نعلم بأن كل موجود لم يتصف بالظلم كان أفضل ممن يتصف به.

فكلامنا هنا عن الكمال من كل وجه الذي نعلم بأنه كمالا إذا أضيف لأي موجود، وعن التنزيه عن النقائص التي نعلم بالضرورة بأنها نقائص إذا أضيفت لأي موجود.

• قال تعالى:

﴿ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [النحل ٦٠].

وأن لله المثل الأعلى أمر فطري معلوم، لذا نجد أنه ينزهه المؤمن وغير المؤمن، فتجد الملحد يقول: لو أن الله موجود لن يفعل كذا،

وهو يقصد تنزيهه الذي هو داخل فطرته كملحد لا محيد له عنه.

وتجد أن أهل الكلام يدّعون تنزيه الله عن النقائص وعامتهم لا يقيمون دليلاً على وجوب كماله وامتناع نقصه، وهذا لكونه مغروزا بقلوب العباد، وكذلك الفلاسفة فهم يثبتون الحكمة لله عز وجل بسبب هذا الكمال الذي علموه بفطرتهم.

والملحد إنما اعتبر الشر معضلة لأن صفة الشر نقص، ولو أن هناك خالقا فلا يكون شريراً باعتبار أن الشر نقص، "هذا قولهم يتناقلونه ليل نهار".

والنصارى يدعون أن الله يحب خلقه، ويشتهر عندهم القول بأن الله "محبة" ولأن المحبة عندهم كمال فقد آمنوا به، وغلطوا في دعواهم بأن الله يحب كل خلقه، فإن الذي يحب جميع الخلق ثم يعذب أغلبهم لأنهم لم يؤمنوا بهذه المحبة فقد تناقض لأنه إن كان محبا للجميع دون أن يستحقوا هذه المحبة لاستلزم عدم تعذيبه لهم.

• قال تعالى:

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [المائدة ١٨].

فبين سبحانه أن قولهم بأن الله يعذب خلقه وهو مع هذا يحبهم جميعا هو قول متناقض، إنما الحق أن الله يحب من يستحق محبته ويعاقب من يستحق العقاب.

والقصد هنا أن الناس يثبتون أصل التنزيه لله بفطرتهم، وإن غلطوا بعد ذلك، فأن يتم ضرب الرب وتعذيبه مسألة تثبت فيه النقص بالضرورة، ولكنهم لا يسلمون بأنها نقص، ويناقضون العقل الصريح الدال على أن هذا نقص، ولا ينطق واحد منهم فيقول بأن الله ناقص، لأن فطرتهم تدل على كماله بضرورة لا يستطيعون دفعها عن أنفسهم إلا بكلفة، ويبررون عقائدهم الفاسدة فقط ليثبتوا بأن عقائدهم لا تثبت النقص للخالق.

وكل هذا التنزيه لله وإثبات الكمال له، أمر ثابت في قلوب الناس يتناقله كافة البشر من غير تواطؤ ولا اتفاق مسبق بينهم لا يدفعه أحد عن نفسه إلا بعد شبهة بعيدة تخالف أصل خلقته، ولكن القصد أن هذا ثابت بفطرة كل إنسان.

- قال تعالى:

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ [الروم ٣٠].

- قال تعالى:

﴿وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ﴾ [فصلت ١٥].

- وقال تعالى:

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ﴾ [فصلت ١٥].

فاحتج عليهم سبحانه أن كونه أعطاهم هذه القوة فمؤكد هو أشد منهم قوة، فالقوة كمال وكونها كمالا بالمخلوق والله خلق بهم هذا الكمال فهي بالخالق من باب أولى، وهذا ضروري فلو أن المخلوق المفتقر المحتاج يصح أن يكون كاملاً

في شيء، فالذي خلق هذا الكمال في المخلوق يصح أن يكون كاملاً من باب أولى.

– قال ابن تيمية –رحمه الله–:

"ثم يقال هذا الواجب القديم الخالق إما أن يكون ثبوت الكمال الذى لا نقص فيه للممكن الوجود المخلوق ممكناً له وإما أن لا يكون ممكناً له والثاني ممتنع.

لأن هذا ممكن للموجود المحدث الفقير الممكن فلأن يمكن للواجب الغنى القديم بطريق الأولى والأحرى فإن كلاهما موجود أي المفتقر والغني والكلام في الكمال الممكن الوجود الذي لا نقص فيه".

= قلت: مثل القدرة.

– قال: "فإذا كان الكمال الممكن الوجود ممكناً للمفضول..."

= قلت: أي المخلوق الذي هو أدنى من الخالق.

– قال: "فلأن يمكن للفاضل بطريق الأولى لأن ما كان ممكناً لما هو في وجوده ناقص".

= قلت: يعني ناقص لأنه محتاج لغيره.

– قال الشيخ: "فلأن يمكن لما هو في وجوده أكمل منه بطريق الأولى لا سيما وذلك أفضل من كل وجه فيمتنع اختصاص المفضول (أي المخلوق المفتقر لله في وجوده) من كل وجه بكمال لا

يثبت للأفضل من كل وجه بل ما قد ثبت من ذلك للمفضول فالفاضل أحق به فلأن يثبت للفاضل بطريق الأولى".[١]

(١) الرسالة الأكملية في ما يجب لله من صفات الكمال

= قلت: وهذا صواب وهو بدهي عند التأمل، فإن كان المخلوق يجوز في حقه أن يتصف بصفة من صفات الكمال، فهذا جائز في حق الخالق الذي وهب المخلوق هذا الكمال من باب أولى، لأن الخالق أفضل من المخلوق من كل وجه، والمخلوق مفتقر ومحتاج إلى الخالق من كل وجه، فلولا الخالق ما وجد المخلوق فضلا عن أن توجد صفات الكمال في هذا المخلوق، فالمخلوق مفتقر إلى الخالق في وجود ذاته وفي وجود صفاته.

= ثم يقال: إن الكمال الذي لا نقص فيه إن كان يصح أن يتصف به المخلوق فيصح اتصاف الخالق به من باب أولى.

لأنه كيف يملك الخالق للمخلوق كمالاً يخلقه له، وهو يمتنع عليه أن يتصف به؟ هذا غير معقول.

= ثم يقال: لو كان الكمال غير مستحيل على الخالق أزلا فهو واجب له لأن الخالق أزلي واجب الوجود غني بنفسه.

= ودليل هذا أن يقال: إن الكمال يصح أن يتصف به الخالق أزلاً، فنحن لا نقول أنه ممكن له فقط، بل هو واجب له، لأنه لو كان ممكنا فقط سيحتاج خالقا آخر يخلقه فيه، وهذا مستحيل لأن الأزلي لا يوجد شيء قبله، فثبت أنه واجب له.

حيث أن دعوى امتناع الكمال عليه ممتنعة، لأن الكمال ممكن في الناقص فلا يصح أن يقال هو ممتنع في الكامل، ثم إن الادعاء بأنه من الممكن للخالق أن يتصف بصفة الكمال ويمكن ألا يتصف بها ممتنعة كذلك، لأنه لو كان كذلك سيحتاج مرجحا أو مسببا يجعله متصفا بالكمال أزلا أو غير متصف بهذا الكمال أزلاً، وهذا ممتنع، لأنه يستلزم أن يكون الأزلي يمكن وجوده ويمكن عدمه، وهذا مستحيل، لأن الذي يمكن وجوده ويمكن عدمه، هو المسبوق بغيره، والأزلي لا أول له فلا يمكن أن يكون مسبوقا بغيره.

فيمتنع أن يكون الكمال ممتنعا على الخالق وممتنع كذلك أن يكون الكمال ممكن عدم وجوده في الخالق الأزلي، فثبت أنه واجب له، وهو المطلوب.

فتأمل هذا تنتفع، فالعقل لا يخالف الفطرة ولا يخالف النقل الصحيح.

لذا لا تجد شيئا مما أثبتناه إلا وهو موجود بالنقل ثابت به، ولا تجد حجة عقلية صحيحة إلا وهي لا تخالف نصا ولا ظاهراً في الوحي، بل الحجة العقلية الصريحة توافق النقل الصحيح.

والله الموفق.

* * *

مبحث
إثبات أن اللّه خالق وأن قدرته مطلقة

وبعد أن أثبتنا أن الله هو الغني بنفسه وأنه له الكمال وأنه واحد فقط لا إله غيره، علمنا بالضرورة بأنه خالق كل شيء.

ولكن هنا مباحث ينتفع بها كل طالب علم، وكذلك نورد بعض الشبهات لدى الملحد ونرد عليها إن شاء الله تعالى.

• قال تعالى:

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ﴾ [الروم ٥٤].

وقدرة الله على الخلق أزلية كما صفات ذاته، والمخلوق له بداية قطعا، وفعل الخلق والقدرة عليه من صفات الكمال.

• قال تعالى:

﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل ١٧].

ومعلوم أن القادر على فعل الخلق أكمل ممن لا يخلق.

وكل كمال من كل وجه غير ممتنع على الخالق فهو واجب له، كما تبين بالمبحث السابق، فثبت أن الله يقوم بنفسه صفة الخلق وفعل الخلق الذي هو كمال له وأما قدرة الله فهي من صفات الكمال الثابتة له سبحانه، وقد رددت[1] من قبل على تساؤلهم "هل يمكن للخالق خلق الممتنعات العقلية؟" رددت برد واضح وتام

(١) راجع مبحث هل الله قادر على خلق المستحيلات العقلية

وبينت أن القدرة لا تتعلق بالمستحيل لذاته، لأن المستحيل لذاته عدم والقدرة تتعلق بخلق الأشياء لا خلق اللا شيء.

= ولكن هنا مقام هام متعلق ببيان إثبات القدرة والقدرة المطلقة، فيقال:

الخالق إما أن يكون قادرا على خلق المخلوقات أو لا يكون، فلو كان قادراً فهو المطلوب، لأن القول إنه لا يقدر ممتنع، فكيف لغير القادر أن يخلق؟ فمعلوم ضرورة أن الذي لا يقدر على خلق الشيء لن يخلقه، وهذا ضروري.

= ثم يقال في بيان القدرة المطلقة بمعنى أنه قادر على خلق كل ممكن، أن يقال: هل الذي يخلق كل ممكن أكمل أم الذي لا يقدر على هذا؟

والمعلوم ضرورة أنه الأكمل والأفضل هو من يقدر على خلق كل شيء.

فإذا كانت القدرة على خلق كل شيء غير ممتنعة على الخالق، فهي واجبة له.

ولو قيل بأنها ممتنعة عليه، فهذا قول باطل.

فالقاعدة تقول بأن "حكم الشيء حكم مثله" فإن كان قادرا على خلق هذه الممكنات فهو قادر على خلق كل ما يماثلها من ممكنات.

وهذا مبحث عظيم لمن نظر إليه متعلما فكل دليل للمؤمن ضروري بدهي لا ينكره إلا مسفسط.

= ثم يقال: القدرة كمال في المخلوق وهي ممكنة للمخلوق، فأن تكون صفة للخالق من باب أولى، وهذا جامع في إثبات القدرة وأنه خالق سبحانه.

= ثم يقال: في تعريف الخلق تعريفات متعددة، مثل خلق شيء من شيء وهو الأكثر في القرآن.

• قال تعالى:

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ﴾ [الأنعام ٢].

• قال تعالى:

﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَـٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [الإنسان ٢].

فتبين أنه يخلق شيئا من شيء، والملحد لا يفهم كثيراً من المصطلحات، حتى أنه اعتبر أن الخلق كلغة هو الخلق من عدم، وهذا وإن كان موجوداً في اللغة ولكنه لا يصح ولا يوجد بالقرآن أصلا، فالعدم ليس مادة يتم الخلق منها، إنما يصح لو تعني به بأن الله خلق الشيء بقدرته وإرادته بعدما كان معدوما.

– ثم قالوا: إن هذا ممتنع ولا نرى بواقعنا خلقا بعد عدم، إذن فالخلق بعد عدم غير موجود...!

وهذا بناه الملحد على عدم فهمه لمصطلح الخلق في القرآن.

– قالوا: إن كان لديك دليل أن هناك شيء يوجد بعد عدم أثبت هذا وخذ جائزة نوبل!

إنما يكون هناك شيء من شيء آخر.

= قلت: وهذا من قلة فهمهم ومن تناقضهم، فهم ألزموا أنفسهم بإلزام لا محيد لهم عنه، حيث أنهم قالوا لا يوجد شيء بعد عدم، فدل قولهم على وجوب أن يكون هناك شيء أزلي، لأن البداية لجنس المخلوقات تستلزم أن قبل البداية كان العالم معدوما غير موجود، فلو قالوا لا توجد بداية وأن العالم أزلي، قيل لهم: ولكننا مع هذا لم نرَ أي شيء أزلي.

فإن كان عدم الرؤية هو السبب الذي به تنفي به أن العالم وجد بعد عدم، فأنت لم ترَ شيئا أزليا كذلك.

فرفعوا النقيضين، حيث اشترطوا أن "عدم رؤيتنا لشيء يخلق بعد عدم" دليل على "عدم وجود الخلق بعد العدم"، فيلزمهم أن هناك شيئا أزليا لم نره أيضا كما يدعون أزلية الطاقة، فيستلزم من قولهم عدم أزليتها، بل ولو قالوا بالتسلسل بمعنى أن هناك خالقا خلق خالقا إلى ما لا بداية، فهذا أيضا لم نره ولم نر له مثيلا قط.

فشرطهم هذا منع كل افتراض يفترضه عاقل أو حتى مسفسط، فتأمل، هذا غاية ما وصلوا إليه!

فقد منع شرطهم هذا أن يكون للعالم بداية أو أن يكون ليس له بداية، ومنع من وجود خالق أول أو حتى تسلسل خالقين بلا أول.

فهذا غاية بحث هؤلاء وغاية أفهامهم!

ثم أنت كمسلم وجب عليك أن تقارن بين أقوالهم، ولعلي ذكرت كل مقالة أعرفها لهم لتتعلمها، فلا يخدعك قول لهم فأول من يناقض قوله هو الملحد نفسه فتأمل.

= ثم يرد على دعواهم فيقال: ليس كل ما لم تره لا وجود له، ولكن المصطلح الصواب أن الخلق له تعريفان: تعريف ذكرته وهو خلق الشيء من شيء أخر، وتعريف آخر وهو الخلق بعد أن كان المخلوق لا شيء.

• قال تعالى:

﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴾ [مريم ٩].

• قال تعالى:

﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾ [مريم ٦٧].

فإن كنت تعني أن الله خلقه من عدم بمعنى أن نفس المخلوق كان غير موجود بل كانت هناك مادة أخرى خلقه الله منها فلا مانع في هذا، بل هذا مشاهد أمامنا فصورة الإنسان كانت غير موجودة ثم وجدت، وتفصيل هذا مر في بيان عدم أزلية المادة.

والقصد أن الخلق بعد أن كان المخلوق لا شيء، فإن هذا أمر مشاهد بالحس وثابت بالنقل، ولا يمنعه العقل، والخلق من عدم إن كان معناه أن العدم شيء يتم الخلق منه فهذا ممنوع ولا يقول به من يفهم ما يقول.

والملحد يلزم المسلم بمصطلحات ليست بلغة القرآن ولا بلغة العرب ولا العجم، ثم يلزم المسلم ولقلة خبرة بعض المسلمين يحسنون الظن في هذا الملحد فيظن أن قول الملحد صواب، فيقع في شبهة بسبب قلة التحصيل العلمي.

وهذا كبعض الملحدين الذين يدعون أن الإيمان تعريفه هو التصديق دون دليل، وهذا جهل مركب ولا يوجد عالم معتبر ولا غير معتبر قال به، وليس في الوحي نص واحد يدل عليه.

وهؤلاء الملحدون يرددون هذا المصطلح ليل نهار، فيظن المسلم من كثرة ترديد هؤلاء لهذا المصطلح أنه صحيح بالفعل! وأن الإيمان لا يكون صحيحا إلا لو صدقت دون دليل!

• مع أن المولى سبحانه قال:

﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [محمد ١٩].

فبين وجوب العلم.

• وقال تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا﴾ [النساء ١٧٤].

فالمولى عز وجل قد بين لنا بأنه أتى لنا بالبرهان والحجة والدليل، فكيف يقال بعد هذا أن الإيمان هو التصديق دون دليل؟ وهذا لو دل فيدل على أن الملحد يردد دون فهم ودون دليل، بل إن الدليل عند التدبر يخالف قوله.

والقصد أن من فهم القرآن وقرأه وعقل ما فيه لا يقع بمثل هذا

والذي أثبتناه أن شبهة الملحد جوابها من الدين لو فهمت الدين بشكل صحيح.

والله المستعان.

* * *

مبحث
إثبات صفة الإرادة المطلقة للّه

صفة الإرادة هي صفة يرجح الله بها شيئا مقدورا بدلا من شيء مقدور آخر، فالله قادر على أن يخلق زيدا اليوم، وقادر على أن يخلقه غدا، وإرادته هي التي تخصص المقدور الأول أو الثاني.

مثل أني قادر على أن أكتب هذا الكلام، وقادر على ألا أكتبه، وإرادتي هي التي تحدد هل أكتبه أو لا.

• قال تعالى:

﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود ١٠٧].

• وقال تعالى:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة ١].

صفة الإرادة ثابتة لله تعالى وهي صفة قائمة بنفسه، يفعل ما يشاء متى شاء وما يفعل شيئا إلا وهو يريده.

• قال تعالى:

﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس ٨٢].

وفي بيان إثبات صفة الإرادة عقلا عدة براهين، وهناك شبهات سأرد عليها إن شاء الله تعالى.

البرهان الأول:

= أن يقال: قد ثبتت الإرادة بالنسبة للمخلوق بالضرورة، حيث أن العبد يفرق بين تحريكه ليده عندما يريد، وبين رعشة اليد، فالارتعاش في اليد يعتبر حركة لكنه يحدث دون إرادتنا، وحركة اليد واحدة، ولكن التفرقة بين ما فعلته بإرادتك وعدمه أمر ضروري، فبما أن الإرادة ممكنة للمخلوق والإرادة كمال بغض النظر عن إضافتها للخالق أو للمخلوق، لأننا نعلم بالضرورة أن الذي يفعل بإرادته أكمل ممن يفعل مجبرا بغير إرادته، فلمّا لم يمتنع هذا الكمال في المخلوق وجاز أن يتصف به، فالخالق من باب أولى أن يتصف به.

• الوجه الثاني:

إن الإرادة لو كانت صفة كمال، فالخالق متصف بها لإمكان أن يتصف بها، وما كانت صفةً أزلية فهي واجبة، كما قد تبين سابقاً في مبحث الكمال لله، وقياس الأولى حجة قرآنية كما بينت من قبل، لهذا فإن أقوى الحجج العقلية تجد أصلها في القرآن ودل عليها القرآن.

البرهان الثاني:

= أن يقال: الإرادة ثابتة بالمخلوق، ومعلوم أن العدم مع العدم لن يعطونا إلا عدما، كما أن ٠+٠=٠

فكذلك لو كان الخالق الأول الذي هو مسبب كل الموجودات غيره ليس عنده إرادة، فلن توجد إرادة بأي شيء، وبيان هذا من وجهين:

• الوجه الأول:

أن الإرادة كمال، فلو كانت ممتنعة على الخالق أزلاً، فمن باب أولى أن تكون ممتنعة على المخلوق المحتاج لهذا الخالق.

• الوجه الثاني:

إن فاقد الشيء لا يعطيه، وهو فاقد الإرادة فكيف يخلق الإرادة؟ وهذا لأن العدم لن يعطي إلا عدما.

= كقولنا: لو أن المسبب الأول غير موجود فعدم وجوده دليل على عدم وجود أي شيء غيره، ووجود شيء غيره دليل على وجوب وحتمية وجوده سبحانه، وهو المطلوب.

فكذلك في الإرادة فعدم اتصاف الخالق الأول الغني بنفسه بها، يجعل المخلوق معدوم الإرادة لأن مسبب الإرادة للمخلوق معدوم الإرادة فمن كان معدوماً للإرادة لن يعطي إرادة، ونحن بينا أن الإرادة موجودة بالمخلوق فالخالق مؤكد أنه متصف بها، وهو المطلوب.

لذا يقول أهل العلم: "اعرف نفسك تعرف ربك"، وكان النبي ﷺ يقول: "تفكروا في آلاء الله"، أي نعم الله، لأن بها تعرف ربك سبحانه.

قال ابن القيم:

أن من نظر إلى نفسه وما فيها من الصفات الممدوحة من القوة، والإرادة، والكلام، والمشيئة، والحياة، عرف أن من أعطاه ذلك وخلقه فيه أولى به، فمعطي الكمال أحق بالكمال، فكيف يكون العبد حيا، متكلما، سميعا، بصيرا، مريدا، عالما، يفعل باختياره، ومَنْ خَلَقه وأَوْجَده لا يكون أولى بذلك منه؟! فهذا من أعظم المحال، بل إن من جَعَلَ العبدَ متكلما أولى أن يكون هو متكلما، ومن جعله حيا، عليما، سميعا، بصيرا، فاعلا، قادرا، أولى أن يكون هو كذلك. فالتأويل الأول من باب الضد، وهذا من باب الأولوية[1].

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ١/ ٤٢٧

البرهان الثالث:

وهو ما سموه ببرهان التخصيص، أن الخالق خلق زيدا وكان بمقدوره أن يخلقه أكبر أو أصغر من هذا، فخلقه لزيد بهذا الحجم دليل على أنه اختار هذا الحجم بدلاً من غيره.

أو لنقل خلق الخالق للكون، فقد كان قادرا على أن يخلقه قبل خلقه أو بعده، لأن الأوقات كلها متساوية بالنسبة لقدرته فهو قادر على خلقه قبلها أو بعدها، فاختياره ذلك الوقت دون غيره دليل على أنه اختار هذا الوقت دون غيره.

وأصل هذا بالقرآن.

• قال تعالى:

﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار ٨].

فالخالق كان يمكنه أن يخلق المخلوق بتركيب وصورة أخرى مختلفة، فالمخلوق يجوز عقلا أن تكون صورته مختلفة والله أراد خلقه على هذه الصورة.

وهذا دليل صحيح رغم استخدام البعض له بمسائل أخرى بشكل خاطئ وليس هذا موضع بيانها، ونحن إنما نأخذ الدليل الصحيح

بمكانه الصحيح الموافق للنقل والعقل، ونترك استعمال الدليل بغير موضعه.

البرهان الرابع:

= أن نقول: إن الإرادة للخالق تعرف بالضرورة والفطرة، وحتى الملحد يقول: لو وجد خالق لن يريد لنا النار الدائمة... إلخ.

فحتى منكر وجود الله بفطرته يثبت لو أن هناك إلها موجودا فمؤكد أن له إرادة، وكل العباد المؤمنين يدعون الله، وما لا إرادة له لا يصح أن يتم دعاؤه، والطفل والكبير يفعلون هذا باختلاف أحوالهم وطوائفهم، فهذا دال على أن

فطرتهم تقر بهذا دون اتفاق مسبق بينهم، والملحد نقلنا قوله كذلك، فثبت أن الفطرة تثبت أن للخالق إرادة وأما البرهان على أن إرادته مطلقة بمعنى أنه يفعل ما يشاء بحكمته، أن يقال: هذا كمال وبقياس الأولى نثبته ومن أنكر قياس الأولى أنكر كل معرفة عقلية ممكنة، كما بينت في مبحث قياس الأولى في الأبواب السابقة فالله يقدر على الظلم ولا يريده .

• قال تعالى:

﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران ١٠٨].

فلحكمته لا يريد الظلم، وهذا كذلك كمال، فمن كمال الخالق أن يكون مريدا، ومن كمال الإرادة أن تكون إرادته لحكمة علمناها أو لم نعلمها.

وهذه براهين تنفي صحة أزلية المادة والطاقة أيضا، لأنها معدومة الإرادة والعلم عند الملحد وهذا قد بينته سابقاً بما يغنينا عن إعادته.

والقصد أنك كمسلم تعرف عقيدتك وبيان براهين حجتنا فهي كما تثبت معتقدنا تثبت كذلك غلط كل ما يدعيه الملحد من فرضيات كلها متهافتة خالف بها صريح العقل.

والحمد لله رب العالمين على نعمة العقل والدين.

* * *

مبحث
وجوب صفة العلم للّه تعالى

صفة العلم عندنا أن الله يعلم ما كان، وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف كان يكون، وهو يعلم كل شيء بالتفصيل.

• قال تعالى:

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة ٢٥٥].

فبين أن الله محيط بعلمهم ولا يحيطون بعلمه إلا ما علمهم.

• قال تعالى:

﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا ۖ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة ٢٣٩].

فالمولى عز وجل عليم وهو عليم بكل شيء، أما المخلوق فلو علم شيئا فلا يعلمه إلا بتوفيق الله.

• قال تعالى:

﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴾ [سبأ ٢].

فقد علم العباد بعض الأمور، واستأثر بعلم كثير من الأمور.

• قال تعالى:

﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام ٥٩].

وصفة العلم لله تعالى صفة لذاته لا عين ذاته، خلافا لمن قال إن العلم عين العليم ممن عموا عن الهدى، حيث أن العلم صفة للعليم وهي تتميز عن القدرة كمثال، وهؤلاء قالوا إن العلم والحياة والقدرة شيء واحد، وهذا من الجهل المستحكم، أما العقل الصريح فيقر بأن العلم صفة للعليم تختلف عن القدرة والإرادة والحياة، والموصوف واحد، مثل أن المخلوق قد يتصف بكل هذا، وإرادته تختلف عن حياته وعن علمه إلخ، ومع هذا فهو موصوف واحد، ولله المثل الأعلى.

وبراهين اتصاف الله بالعلم كثيرة.

البرهان الاول:

= إن صفة العلم صفة موجودة بالمخلوق، فالعبد يعلم نفسه بل ويعلم يقينا بأنه لا يعلم كل شيء، وهذا يرد على الملحد التارك لعقله القائل بأن العقل لا يعلم أي حقيقة.

فالعبد يعلم علما ضروريا أنه لا يعلم كل شيء، والعلم كمال، فلو كان المخلوق الناقص متصفا به فخالق المخلوق متصف به من باب أولى، لأنه إما أن يكون العلم ممتنعا على الله أو ممكنا أو واجبا له.

فلو كان ممتنعا فكيف يكون ممتنعا على الخالق وغير ممتنع على المخلوق الناقص؟!

ثم إن عدم العلم نقص، فكيف يكون النقص في حقه واجبا وفي حق المخلوق المفتقر ممكناً؟ وهذا لا يتصور عند من عقل هذا، ولو كان ممكناً فالخالق أزلي، والشيء الممكن هو ما يحتاج خالقا يسبب وجوده أو عدم وجوده، فكيف يقال إن هناك خالقا قبل الله يسبب وجود العلم فيه أو ينزع عنه تلك الصفة؟

والله أزلي لا بداية له، فالقول بأن هناك مسببا يسبب في الله صفة قول مستحيل، لأن ما لا بداية له لا يكون مسبوقا بغيره، فضلا عن

أن يكون غيره مسببا لصفة من صفاته، فثبت بهذا أن صفة العلم واجبة لله، وهو المطلوب.

البرهان الثاني:

= إن هذا الضبط الدقيق دال على علم الله، فلو وجدنا ورقة فيها معادلات رياضية معقدة سنعلم أن كاتبها عنده علم بالرياضيات

فضلا عن كونه موصوفاٌ بالعلم، حيث أنه لو لم يتصف بالعلم لن يعلم الرياضيات ولا غيرها، فما بالك بمن ﴿خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة ٢٩].

• قال تعالى:

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة ١٦٤].

فلما تبين بالضرورة امتناع وجود ورقة فيها معادلات بلا كاتب يعلم ما يكتب، فمن باب أولى نثبت صفة العلم لمن خلق كل هذه الموجودات التي تفتقر في وجودها إليه.

البرهان الثالث:

= أن يقال ٠+٠=٠

عدم زائد عدم لا يعطينا إلا عدما.

فيمتنع وجود مخلوق ذو علم والخالق لا، لأن فاقد الشيء لا يعطيه.

- فإن قالوا: يمكن لمكونات معينة أن تجتمع فتعطينا كائنا عليما.

= قلنا: هذا ممتنع، حيث أن العلم في المخلوق وهو الوعي والفهم، لو وجد من جزئيات ليست عالمة، لكن مع هذا فيها مادة عند الاجتماع تنتج لنا مخلوقا ذو علم.

لذا من الممتنع أن نمزج ماء مع ورق مثلا فيخرج لنا إنسان، لأن مكونات هذه المواد لا تعطي إنسانا، فتلك حجة عليك كملحد حيث أن العدم لا يعطي وجودا، فلو كانت تلك الجزئيات معدوم فيها ما يعطي العلم للبشر فلن يوجد العلم بالبشر مطلقا.

والقصد أن المسبب الأول لو كان فاقدا لصفة العلم لن يعطيه لأن علمه معدوم، ولا يمكن أن يطبق عليه.

مثال: إن الجزئيات تجتمع فتعطي لنا محلولا ثالثا كالأدوية، لأن الله خالق وحده لا خالق معه حتى يقال إنه خلق مع خالق غيره مخلوقا بصفات مختلفة فيها كمال ليس موجودا فيهم، كما قد ظهر سابقا في مبحث إثبات الوحدانية لله تعالى.

البرهان الرابع:

= العلم معلوم أنه إدراك المعلومات، ولا يقال إن الله أراد خلق مخلوق دون آخر وهو لا يعلم أن هذا المخلوق غير ذاك.

= مثاله أن يقال: الله أراد خلق زيد بذلك الحجم لا أكبر ولا أصغر، ومن الممتنع أن الله يريد هذا وهو لا يعلم أن هناك فرقا بين هذا الحجم وما أكبر منه وما أصغر منه، وهذا ظاهر جدا.

وبيان أن الله متصف بالإرادة قد سبق، وكذلك من الممتنع أن يريد شيئا دون أن يعلم الفرق بين المراد وبين عدمه، فمن الممتنع أن

يريد خلق الكون وهو لا يعلم الفرق بين خلق الكون وعدم خلق الكون.

فتبين أنه عليم.

أما أنه عليم بكل شيء، فبرهانه أن كل كمال من كل وجه وجب أن يتصف الله به كما بينا سابقا في مبحث الكمال، فما ثبت أنه كمال من كل وجه وجب اتصاف الخالق به، وهذا يثبت علم الله بما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف كان يكون.

والله الهادي.

وهذا برهان على امتناع أزلية المادة والطاقة، فهي بالاتفاق ليست عالمة ولا مريدة، والله عليم ذو إرادة كما قد ظهر.

فكما أن العقل دل على صحة ما نعتقد فهو دال على فساد ما يعتقده المخالف بفضل الله.

* * *

مبحث
إثبات أن المسبب الأول وجوده لا ينتهي

والمطلوب البرهنة عليه هو أن الله سبحانه يبقى أبداً كما أثبتنا وجوده أزلاً.

والأبدي: هو الذي لا نهاية له.

والأزلي: هو الذي لا بداية له.

والسرمدي[1]: هو الدائم الذي لا بداية له ولا نهاية.

• قال تعالى:

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞ﴾ [البقرة ٢٥٥].

وبيان شبهة الملحد كالآتي:

- قالوا: نعم وافقناك على أنه مسبب أول أزلي لا أول له.

- وقالوا: ولكن كيف تثبت أنه لم ينتهِ؟

= قلت: وهذا نثبته من وجوه:

• الوجه الأول:

= أن يقال: الملحد كثيرا ما نجده يدافع عن أبدية المادة والطاقة ويقول أن الطاقة لا تنتهي ولا المادة.

ونحن كمؤمنين نؤمن أن العباد في الجنة يخلدون فيها أبداً، فنحن نتفق أن المخلوق يمكن ألا يكون له نهاية، والملحد يدعي عدم نهاية الطاقة غير العاقلة

(١) سرمدي: من السرمد، وهو الدائم الذي لا ينقطع، وقيل هو: دوام الزمان، اتصاله من ليل أو نهار، وليل سرمد: طويل. انظر: لسان العرب (٣/ ٢١٢)، وتاج العروس (٥/ ١٥)

وغير الكاملة، فمن باب أولى بعد أن علمنا أن هناك خالقا أنه يمكن أن يكون أبديا لا آخر له، فكما أن هذا ممكن للمادة الناقصة بالاتفاق فهو ممكن لخالقها من باب أولى.

• الوجه الثاني:

= أن يقال: اللا نهاية كمال وكل كمال ممكن للخالق وجب أن يتصف به، وإنما قلنا أن الخالق وجب أن يتصف بذلك الكمال لأنه غني لا يحتاج إلى غيره ليعطيه كمالا أو لينزع عنه كمالا.

فيلزم من هذا أن الصفة إما أن تكون ممتنعة عليه أو واجبة له، ولا يجوز أن يقال هي ممتنعة عليه، فكيف تكون صفة الكمال ممتنعة على الخالق ونحن نتصور وجودها بالمخلوق الناقص؟

فثبت وجوبها، وهو المطلوب.

• الوجه الثالث:

= أن يقال: إن الخالق واجب الوجود بنفسه، وتعريف الواجب هو ما وجب وجوده وامتنع عدم وجوده، فانتهاء وجوده يستلزم تحول

ماهية الخالق من عدم جواز الفناء إلى جواز الفناء والنهاية بلا سبب وهذا ممتنع.

وإنما قلنا إنه بلا سبب لأنه من الممتنع أن يكون المخلوق مؤثرا في سلب صفة واجبة في الخالق، فوجود الخالق صفة واجبة له أزلا، كما بينا وجوب وجود مسبب أول خلق كل شيء، وليس في ذات الخالق ما يستلزم الفناء، لأن ذاته استلزمت وجوده أزلا، فمن الممتنع أن تكون ذاته مستلزمة لوجوده ولعدم وجوده، لأن هذا تناقض، ومن الممتنع أن ينزع المخلوق صفة واجبة للخالق، حيث أن الخالق هو من يعطي للمخلوق الصفات.

فلو كان الخالق يفتقر في صفاته إلى المخلوق، والمخلوق يفتقر في صفاته إلى الخالق للزم الدور، والدور هو توقف وجود (أ) على (ب) قبله، ووجود (ب) على (أ) قبله، فلا يوجد لا (أ) ولا (ب).

لذا كان يقول العقلاء: "ما ثبت قدمه استحال عدمه"، أي ما ثبت أنه أزلي مستحيل ألا يكون أبديا لا نهاية له.

لذا فالله سبحانه وتعالى الأول لا شيء قبله ولا نهاية لوجوده، فهو واجب الوجود وجب وجوده وامتنع عدم وجوده.

= ويقال كذلك: لو كان وجود الخالق متوقفا على قدرة المخلوق، فالمخلوق يستطيع إعدام الخالق سبحانه، ووجود المخلوق يتوقف على قدرة الخالق، فكل منهما يفتقر في وجوده إلى قدرة الآخر قبله، وهذا دور، وهو ممتنع.

فلما استحال أن تكون ذات الله مستلزمة لعدمه وامتنع أن يكون العبد قادرا على إعدامه.

ظهر بهذا أن الخالق يبقى دوماً، ودليل العناية مشهور في هذا، وهو دال على بقاء المولى سبحانه كذلك.

ومن هذا يظهر لنا بأن كل ما كان صريحاً في العقل فهو مثبت لكل ما يدعيه المسلم ومخالف لكل ما يدعيه الملحد.

والله الموفق.

* * *

مبحث
إثبات صفة الحكمة للّه

والحكمة هي أن يضع الشيء موضعه الصحيح[١].

• قال تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة ٣٠].

هنا أخبر الله الملائكة بوجود آدم وعلمهم صفاته، حتى أن معرفتهم بأن ذرية آدم تسفك الدماء هي مما علمهم الله من صفات البشر من آدم وذرية آدم عليه السلام، فقد سألوا الله عن حكمته.

• فقال تعالى:

﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة ٣١].

فبين لهم وذكّرهم بقصر علمهم، فهم لا يعلمون كل حكمة له ولن يعلموا هذا، فقالت الملائكة: ﴿ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة ٣٢].

فهم يعلمون بأن الله موصوف بالحكمة، فلما وجدوا فعل لله يجهلون حكمته منه أشكل عليهم، فلما ذكّرهم الله بعدم علمهم لكل شيء، زال الإشكال، لأن

(١) شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ١/ ١٨٠

جهلهم بالحكمة المعينة لا ينفي صفة الحكمة الثابتة لله، بل فقط ينفي علمهم بهذه الحكمة المعينة.

فبالرغم من عدم معرفتهم لسبب خلق الله لآدم، أقروا أن فعل الله صواب لحكمته سبحانه.

لذا فعدم معرفة الحكمة من فعل ما، لا يعني عدم وجودها بل يعني فقط عدم معرفتك للحكمة، ولم يقل عاقل أنه وجب معرفة حكمة الله في كل شيء، بل الواجب معرفته هو أنه موصوف بالحكمة، وهذا يرد على شبهة الملحد عندما يقول: "كيف علمت الملائكة أن ذرية آدم ستفسد وتسفك الدماء؟ وهم بأنفسهم قالوا لا علم لنا إلا ما علمتنا، فبمفهوم النص إن الله هو من علمهم هذا.

والقصد هنا ما دمنا أثبتنا الحكمة لله فكل أفعاله لحكمة سواء علمناها وأخبرنا بها.

• كقوله تعالى:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ ٱلۡأَرۡضِ وَرَفَعَ بَعۡضَكُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمۡ﴾ [الأنعام ١٦٥].

أو لحكمة لم نعلمها كمثال الملائكة.

لذا فقول القائل إن الله فعل هذا لحكمة لا يعلمها إلا الله، وسخرية الملحد من هذه المقولة يدل على قصر فهم الملحد، لأنه من غير المعقول أن يقول عاقل أن البشر يعلمون حكمة الناس في كل شيء، فما بالك بالله سبحانه؟

لا يعقل معرفة حكمته في كل شيء يقينا بل إن هناك بعض الأمور نعلم حكمته بها، وأما الأمر الذي لا نعلم حكمته فيه فنحن نثق أن له حكمة فيه وإن لم نعلمها.

وفي هذا مسائل كلية يجب أن يدركها القارئ، فالسببية بديهة، ولو خرجت أنا وصديقي فوجدنا سيارة أمام منزلي ولم نرى مثلها من قبل، فقال لي ما سبب وجود هذه السيارة؟ فقلت له لا أعلم!

فقال لي: إذن هي بلا سبب، سأسخر منه قطعا، وكل قارئ لو كان في موضعي سيستغرب رده هذا! لأنه لما تبين بأن السببية شيء يقيني، فإن عدم معرفتنا لهذا السبب لا ينفي وجود السبب بل ينفي معرفتنا للسبب فقط.

فكذلك يقال في الحكمة، فإن كان الخالق موصوفا بالحكمة كما سأبرهن، فعدم معرفتنا للحكمة من فعل معين لا يعني أنه بلا حكمة، بل يعني عدم معرفتنا فقط.

وكثير من الناس نجهل حكمتهم في بعض أفعالهم، ومع هذا فقد نعلم بعد ذلك حكمتهم من هذا الفعل، فتبين لنا بأن عدم معرفتنا لا يدل إلا على عدم معرفتنا.

وكذلك الأمر في كثير من الأحكام الشرعية، فقد يجهل العامي حكمة الله من هذا الحكم، ثم أنه كلما تعلم يجد أنه يعلم حكمة الله في كثير من المسائل التي كان جاهلا بحكمة الله منها، وهذا ظاهر جدا والحمد لله.

- فلو قيل: قولكم هذا يسمح لكل صاحب معتقد أن يقول هذا في الأشياء التي نعلم بأنها تخالف الحكمة، فيجوز للنصارى أن يبرروا قولهم المكذوب على المسيح أنه قال: "مَنْ ضَرَبَكَ عَلَى خَدِّكَ فَاعْرِضْ لَهُ الآخَرَ أَيْضًا، وَمَنْ أَخَذَ رِدَاءَكَ فَلاَ تَمْنَعْهُ ثَوْبَكَ أَيْضًا." (لوقا ٦: ٢٩).

فهذا أمر مخالف للعقل ولا يأمر به مخلوق فضلا من أن يأمر به خالق كل شيء عندهم، فكيف يأمر الله العباد بأن يعينوا الظالم عليهم، وأن يتركوا من ينهب حقهم، فكيف يأمر بالذل والمهانة وهم قادرون على منعه؟

ونحن نعلم بالضرورة أن الإنسان الذي يقدر على رفع الظلم ويرفعه، أفضل ممن يقدر على منع الظلم فلا يمنعه، فكيف يقال بأن الرب قد أمر الناس بأن يعينوا الظالم على ظلمه!!

- فلو قال الملحد: المسيحي قد يقول بأن الله أمر بهذا لحكمة لا نعلمها! فكيف يمكنك أن ترد عليه كمسلم؟

= نقول: نحن ندعي أن عدم العلم بالحكمة لا ينفي وجود الحكمة، ومثالكم عن النصارى مثال صحيح، لكنه مثال يثبت لنا معرفتنا لعدم الحكمة، وليس فقط عدم معرفتنا بها، فهناك فرق ظاهر.

فأنا قد لا أعلم حكمة زيد من فعله، وقد يكون لزيد حكمة بالفعل لكني أجهلها، أما لو وجدت زيدا يفعل فعلا وأخبرني بسبب فعله وعلمت أن هذا السبب سفه وليس فيه حكمة، أجزم بعدم حكمته من هذا الفعل بيقين.

فالملحد لم يفرق بين عدم العلم وبين العلم بالعدم.

فأنا قد لا أعلم هل صديقي موجود في المنزل أم لا، وقد أعلم عدم وجوده لو ذهبت إلى منزله فلم أجده، وهذا الفرق بين عدم العلم، وبين العلم بالعدم، فظهر فساد اعتراضهم بفضل الله.

وظهر لنا فساد رد النصارى على هذا السفه الموجود داخل كتبهم المحرفة.

- وإذا قيل لنا: ما حكمة الله من إخفاء بعض حكمته في أفعاله؟ قلنا إن هذا فيه حكمة أيضا، حيث أنه أخفى عنا بعض حكمه، كما أخفى على الملائكة، حتى نتذكر دائما قصر علمنا، وحتى نبحث عن حكمة الله بأحكامه وأفعاله، ونتعلم دائما حتى نموت، ففي خفايا بعض تفاصيل الحكمة حكمة كذلك.

لذا نرى أن الحكيم لا يخبر بكل شيء، بل أحيانا يكون موضع حكمته في الأمر الذي لم يخبر به، إما ليبحث الطرف الآخر عنه ويجاهد ليسعد بمعرفة حكمة الحكيم من هذا، أو ليعلم قلة علمه فلا يغتر بنفسه كمثال.

وفي إحدى المرات ناقشت ملحداً..

- فقال لي: ما حكمة الله من خلق كوكب ما بعيد عنا؟

= فقلت له: لا أعلم الحكمة، فهل وجب علي معرفة حكمة الله في كل شيء!

- فإن قال: نعم، يلزمه أن الإنسان وجب أن يكون علمه مطلقا، وإن قال لا، فلا شبهة.

وبهذا تبطل شبهتهم وسخريتهم، وتفصيل هذا له مبحث متعلق بمبحث صحة الرسالة إن شاء الله تعالى.

وبيان براهين إثبات الحكمة لله تعالى من وجوه:

- الوجه الأول: إن الحكمة كمال.
- قال تعالى:

﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة ٢٦٩].

فالحكمة بالضرورة صفة كمال من كل وجه، ونحن نعلم أن الحكيم أفضل من السفيه، والسفيه هو الذي لا يضع الشيء في موضعه الصحيح، وهذه كلها مسائل ضرورية عقلا، ولأجل ذلك كله حارب الملحد العقل، لأنه يثبت ما نقول ويرد على شبهاته بفضل الله.

وبما أن بعض العباد يتصفون بالحكمة فخالقهم الذي أثبتنا حتمية وجوده يتصف بالحكمة من باب أولى.

• الوجه الثاني:

= أن نقول: فاقد الشيء لا يعطيه و (+٠=٠) فلو كان المسبب الأول معدوم الحكمة لما وجدت الحكمة بالمخلوق، لأنه لو كانت الحكمة ممتنعة في حق الخالق فكيف تكون كمالا من كل وجه وممتنعة على المسبب الأول الغني عن غيره، وتكون ممكنة للمخلوق الناقص، فهذا لا يعقل!

• الوجه الثالث:

= أن نقول: حكمة الله ظاهرة في كثير من خلقه، مثل تكامل المادة فترى حاجة الإنسان للحيوان ووجود حيوانات تأكل بعضها بعضا لتحيا هذه الحيوانات لننتفع نحن بها ...إلخ، بل ووجود الشمس وانتفاع الناس منها، وغير ذلك مما لا يحصيه إلا رب العباد، فهذا من دلالة الأثر على المؤثر، فآثار حكمة الله تدل على وجوب اتصافه بالحكمة.

- ثم لو قيل لنا: حكمة الله ظاهره في بعض الأمور، فلم قلتم إن حكمته في كل شيء علمنا أم لم نعلم؟

= قلنا: لأن الحكمة كمال من كل وجه، والحكمة المطلقة التي تكون في كل شيء هي من صفات الكمال، فوجب اتصاف الخالق بها، وإنما قلنا أنه وجب اتصافه بالكمال لأن الكمال لو كان ممتنعا عليه لكان النقص واجبا له، ولكان مفتقرا محتاجا إلى غيره ليكمله لأنه ناقص، فلا يكون هو الغني، ونحن بينا[1] وجوب اتصافه بالغنى سابقاً.

= ثم نقول: الحكمة المطلقة لو كانت ممتنعة في حقه فهذا معناه أن وضع الشيء موضعه الصحيح ممتنع في حقه، رغم أن وضع الشيء موضعه الصحيح

(١) راجع مبحث الأدلة العقلية على وجود الله، دليل الافتقار

ممكن عقلا، فقولنا ممتنعة عقلا وممكنة عقلا، جمع بين تناقضين، فوجب عدم امتناعه عليه.

- وإن قيل: هي غير ممتنعة عليه وليست واجبة له بل هي ممكنة فقط.

= قلنا: الخالق أزلي، ولا خالق معه فلا يوجد مرجح يرجح كفة وجود الحكمة المطلقة من عدمها، والخالق أزلي ليس قبله شيء فيمتنع وجود مرجح يرجح وجود صفة له أو عدمها.

فثبت أنها غير ممكنة وغير ممتنعة عليه، فوجب أن تكون واجبة، وهو المطلوب.

وبهذا نعلم وجوب اتصاف الله بالحكمة المطلقة بفضل الله.

* * *

مبحث
إثبات صفات الرحمة والمحبة والغضب لله

في إثبات صفة المحبة وكذا الرحمة والغضب كثير من المباحث

وهي صفات ثابتة بالنقل والعقل.

- قال تعالى في وصف نفسه بالمحبة:

﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة ١٥٩].

- قال تعالى:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة ٢٢٢].

- وقال تعالى في وصف نفسه بالرحمة:

﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة ٣٧].

- وقال تعالى في صفة الغضب:

﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة ٦١].

فهذه نصوص تثبت تلك الصفات لله تعالى.

وأما بيان اتصافه بهم عقلا، ففيه عدة براهين، منها دلالة الأثر على المؤثر.

- وبيان هذا بالوجه الأول:

إن نصره لعباده الصالحين وتثبيتهم دال على رحمته بهم ومحبته لهم وتدميره للمخالفين للدين وعقوبتهم الدنيوية دليل على غضبه عليهم.

– فإن قيل لنا: هذا ينطبق على العكس فكثير ممن يخالف الدين يتركه الله بل قد ينصره، وكثير من عباد الله يعاقبهم الله!

= قلنا: هذا لا يصح، حيث أن الفعل يدل على سبب.

ومؤكد أن العقوبة إما تدل على الغضب أو على البلاء لرفع الذنوب، ليتوب عليك وهذا من رحمته.

فثبت أن عقابه للمؤمن والكافر يدل على رحمته أو غضبه.

وأما نصره للكافر فدال على أن الله يبتلي عباده بنصر الأعداء حتى يعلموا أنما الدنيا دار بلاء ويعملوا ويتمسكوا بدينهم أكثر، حتى لا يستطيل أعداء الله عليهم.

• قال تعالى:

﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران ١٤٠].

وهذا من تمام حكمته.

فالقصد أن الأثار كلها تدل على صفات الله تعالى.

• ثم يقال في الوجه الثاني:

إن صفة الغضب من الظلم، وصفة الرحمة بالمحسن ومحبته من الكمال.

ألا ترى أن الملحد يقول للمسلم هل تقبل بالسبي؟ والملحد يرى بأن السبي خطأ؟

وتفصيل[1] الرد على شبهة السبي وما يماثلها، وبيان أن الملحد لا حجة له فيها، سيأتي في هذا الكتاب.

---

(١) سيذكر المؤلف في الجزء الثاني مبحث منهجية التعامل مع أي شبهة ضد الدين

- فيقول الملحد: هل تقبل به كمسلم؟

فالسبي عند الملحد خطأ وإنكاره والغضب منه وكراهته من الأمور الحسنة فالغضب من المنكر من الكمال..

والرحمة بالمخطئ الذي كثيرا ما أصاب، وأخطأ بالقليل فقط، فالرحمة به من الكمال.

• كما قال تعالى:

﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء ٣١].

فمغفرة الله لصغائر الذنوب من خلقه ما داموا اجتنبوا كبائر الأفعال القبيحة وهذا كله من الكمال عند العقلاء.

وكل كمال غير ممتنع على الخالق فقد وجب اتصاف الخالق به كما سبق بيانه.

ومن الكمال أن العبد إذا عمل خطأ كبيرا ومع هذا أصاب ببعض الأمور الأخرى أن الله يعفو عن بعض من يخطئ برحمته ويعاقب البعض بعدله، لأن عفوه عن البعض يجعلهم يرجون رحمته مهما عظمت ذنوبهم، فلا ييأس عباده من رحمته، ولا يتمادون في المعصية، ويجب أن يعاقب البعض حتى لا يستمر الكل بالغلط، فمن أمن العقاب أساء الأدب.

فلو أن شخصا ما أخطأ بحقك خطأ كبيرا وكرره، وأنت تعفو عنه كل مرة، ألن يكرر هذا الخطأ بلا توقف لكثرة شهواته التي تجعله يفعل الخطأ؟؟

وأما إذا كنت تعفو مرة وتغضب مرة وتعاقبه مرة، لن يتمادى في غلطه لو أخطأ أول مرة لأنه يطمع في عفوك، وإذا علم أنك قد لا تعفو فلن يزيد في الغلط، إما خوفا من جفاك أو خوفا من عقوبتك.

كما أن الدولة التي تطبق القانون من الصعب أن تجد فيها تفشي السرقة، لأن السارق إما أن يمتنع عنها كرها في التعدي على القانون، أو خوفا من العقوبة.

لذا فإن العقل لو عُرض عليه خالق لا يفرق بين الحسن والقبيح ولا بين الحق والباطل، وآخر يفرق بين الحق والباطل ويحب الحق ويغضب من الباطل، علمنا كمال الثاني ونقص الأول.

ونحن إن وجدنا مخلوقا لا يؤيد الحق ولا يغضب من الظلم، ولا يشكر المحسن، ولا يعيب على المسيء، جزمنا بنقص هذا المخلوق، وكل منا يسعى بأن ينزه نفسه عن هذا النقص، فأن يتنزه عنه الخالق من باب أولى.

فصفات الله كمال ومحبته للمحسن وغضبه من الظلم كمال.

وفعل الله مع أصحاب الكبائر كمال، فلا يعذبهم جميعاً فييأسوا من رحمته، ولا يغفر لهم جميعاً دون عذاب فيتمادوا في معصيته،

- قال تعالى:

﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ [النساء ٤٨].

- ثم يقول الملحد: إن عدل الله يناقض رحمته.

= فلو أن عدله مطلق لعذب الناس جميعاً.

ولو أن رحمته مطلقة لغفر للناس جميعاً.

وهذا لعدم فهم الملحد للعدل والرحمة عند المسلمين.

- قال تعالى:

﴿وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [البقرة ١٠٥].

فبين أن رحمته مطلقة بمعنى أنه يرحم من يشاء وليس بمعنى أنه من الواجب عليه أن يرحم الكل كما فهم صاحب الشبهة، بل إن أعظم رحمة هي التي تتعلق بالمشيئة، فيكون قادراً على عقوبتك ومع هذا يرحمك، فمن تمام الرحمة أن تتعلق بالإرادة والحكمة.

فاللا-ديني يدعي بأن الخالق لا يصح أن يعاقب خلقه، مما يستلزم بأنه سيرحم الكل دون إرادة ذلك، لأن العقوبة منه ممتنعة حسب قول اللا-ديني، فلا يقدر إلا على الرحمة فقط.

ومن المعلوم عند العقلاء بأن الرجل إذا عفا عن رجل آخر وهو مرغم على ذلك لم يكن كاملا كالذي يعفو عن المسيء رغم قدرته على أن يعاقبه، فالكمال عند هؤلاء الحمقى هو ألا يقدر على معاقبة المسيء ولا يرحمه ويعفو عنه بمشيئته!

فقد جعلوا الكمال عند العقلاء نقصا، وجعلوا النقص عند العقلاء كمالا، فتبين أن شبهتهم متهافتة.

• قال تعالى:

﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ [البقرة ٢٨٤].

فبين سبحانه أن رحمته ومغفرته متعلقة بإرادته، ومن الكمال أن يفعل لحكمة ويشاء لحكمة.

والقصد أن رحمته ليست مطلقة ولا عدله مطلقا لو أن الإطلاق معناه كما فهمه الملحد، لأنه وحسب مفهوم الملحد يجب عليه أن يعذب الكل أو أن يرحم الكل، وهذا قمة النقص عند التأمل والتحقيق.

والكمال هو ما ثبت بالقرآن الكريم أنه يرحم البعض بمشيئته وحكمته ويعذب البعض بمشيئته وحكمته، حتى لا ييأس العبد من رحمته فيترك التوبة ولا يطمع في رحمته طمعا زائدا فيترك العمل الصالح تماما.

فهذا بيان جامع في أن كل ما جاء في وصف الله عز وجل في القرآن، فهو ثابت عقلا.

ولو عرضنا على العقل السليم ربّاً يرحم المحسن ويحبه ويغضب على أشر الناس ويعاقبه وربّاً آخر لا يحب المحسن ولا يهتم للمذنب، سيجزم العقل بكمال الأول ونقص الثاني.

ولو عرضنا على العقل ربّاً يرحم ويغفر لمن يخطئ أخطاء بسيطة مادام أنه ترك الأخطاء الكبيرة، وآخر يعذب من أخطأ أصغر خطأ.. سيجزم العقل بكمال الأول ونقص الثاني.

ولو عرضنا على العقل خالقا يعذب بعض من يأتي بكبائر الذنوب ويأتي أيضا بكثير حسنات ويعفو عن البعض الآخر كما جاء في الإسلام من فعل الله مع أهل الكبائر، وآخر يعذبهم كلهم أو يعفو عنهم جميعاً سنجد العقل جازما بكمال الأول ونقص الثاني.

تأملوا هذا ففيه منفعة ومعرفة أن الدين لم يأت إلا بما يوافق العقول، ولا يعارض الملحد المسلم بمعارضة إلا والعقل يرد عليه فيها.

* * *

مبحث
إثبات صفة الكلام
والرد على النصارى والفرق المخالفة

وفي بيان أدلة إثبات صفة الكلام لله تعالى نصوص كثيرة جداً.

- قال تعالى:

﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف ١٤٣].

وبين سبحانه بأن القرآن كلامه.

- قال تعالى:

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة ٦].

وبين أن كلامه بصوت.

- قال تعالى:

﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾ [مريم ٥٢].

والنداء في اللغة لا يكون إلا بصوت، حيث أن النداء غايته إسماع المنادى، وهذا لا يكون بلا صوت.

قال بن منظور:

"النداء: الصوت من الدعاء والرغاء، وناداه نداء أي صاح به.

والنداء: ممدود، هو الدعاء برفع الصوت."[١]

وكلام الله لا يكون إلا بمشيئته سبحانه فيتكلم بنفسه متى شاء.

• قال تعالى:

﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل ٤٠].

والخلق يكون بقدرة الله وبإرادته وبكلامه.

• قال تعالى:

﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة ١١٧].

وإثبات هذا عقلاً أمر ظاهر، فقياس الأولى الذي تم شرحه يثبت أن المتكلم بمشيئته متى شاء أكمل ممن لا يستطيع أن يتكلم أو يتكلم كلاما واحدا لا يتكلم متى شاء بما شاء.

وهذا كله عند العقلاء ظاهر، وقياس الأولى قياس عقلي وشرعي ويثبت ما نقول.

= ثم يقال: صفة الكلام كمال من كل وجه، وعدمها نقص.

• قال تعالى:

﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ [طه ٨٩].

فعدم الكلام نقص عند العقلاء وكما دل عليه النص كذلك.

ثم توجد شبهة للنصارى هنا:

- قالوا: "المسيح هو كلمة الله، إذن المسيح هو الخالق"!

(١) لسان العرب.

= قلت: هذا المعنى مخالف للنص، فإن الله تعالى قال عنه أنه خلقه بالكلمة ولا يعني أنه هو نفس الكلمة.

• قال تعالى:

﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران ٥٩].

= ثانياً: من الممتنع أن يكون المسيح ذاتا وكلاما بنفس الوقت، فالكلام صفة، والنصارى لا يقولون أن المسيح صفة لله، بل يقولون هو الله، والكلمة لا تكون إلا صفة وفعلا للذات، ولا تكون ذاتا.

وهذا يرد على النصارى، فإن عقيدتهم تخالف اللغة والعقل قطعاً

حيث أن الكلام عند الناس أجمع صفة للمتكلم وعند هؤلاء هو نفس المتكلم، وهذا كمن قال علم الله هو نفس الله وليس صفة لله!

وهذا كله ممتنع عند العقلاء مخالف للعقل واللغة والنقل كذلك.

والله الموفق.

* * *

مبحث
إضافة الصفة وإضافة التشريف

وهذا الجزء متعلق بالمسلمين وهو نافع إن شاء الله تعالى، حتى يتعلم المسلم عقيدته التي يناقش بها ويفهم ما فيها من دقائق.

وهناك إضافات إلى الذات مثل إضافة (الصفة إلى الموصوف) وإضافة (التشريف أو الملكية).

وإضافة الصفة إلى الموصوف تكون للشيء القائم بغيره، مثل إضافة السمع للإنسان، فالسمع صفة، والإنسان موصوف، وأما إضافة الملكية أو التشريف.. إلخ، تكون للشيء القائم بنفسه.

مثال ذلك:

لو قيل سمع زيد، هنا السمع قائم بنفس زيد، لو قلنا: بيت زيد، هنا البيت قائم بنفسه وليس قائم بنفس زيد، فالأول يضاف لزيد كصفة لموصوف والآخر يضاف له إضافة ملكية.

وهذا في صفات الله أيضا، فلو قيل هذا بيت الله، أو ناقة الله، فهذا كله من إضافة التشريف، لأن الناقة شيء قائم بنفسه والبيت كذلك، لذا لو قيل: زيد بخيل، فالبخل لا يكون إلا في ذات قائمة بنفسها كزيد، فيكون البخل صفة له.

أما لو قيل: سيارة زيد، فيمتنع أن تكون صفة فيه، ولو قيل سميع بصير، فتلك إضافة صفة لموصوف، فعندما يقال: روح الله، فنحن علمنا من القرآن أن الروح هو جبريل عليه السلام وهو قائم بنفسه.

• قال تعالى:

﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾ [الشعراء ١٩٢-١٩٣].

فعندما قال تعالى: ونفخت فيه "من روحي"، علمنا بالضرورة بأنه ليس صفة لله، لأن هذه إضافة شيء قائم بنفسه وهو جبريل عليه السلام إلى الله عز وجل، وهذا مبحث هام في العقائد كذلك.

وقول النصارى في هذا الباب ممتنع عقلا ولا يرتضيه لنفسه عاقل، فإنهم يدعون أن الروح القدس هو نفسه المسيح المصلوب، ويدعون أنه هو الله خالق كل شيء، وبالرغم من أن حقيقة كل منهم غير حقيقة الآخر، فقد جعلوهم شيئا واحدا.

لم يفرقوا بين الكامل والناقص، وجعلوا الكامل هو نفس الناقص، وهذا أظهر المستحيلات العقلية، ومناقشة أقوال هؤلاء بتفصيل لها موضع آخر إن شاء الله.

- والملحد هنا يقع بغلط عندما يقول: "لله صفات كصفات خلقه"! وهذا لضعف فهمه، فالصفة المضافة إلى ذات الله الأزلية هي صفة لأزلي، والأزلي ليس كمثله شيء لأن كل شيء دونه له بداية، فكذلك صفاته ليس كمثلها شيء.

ومن فهم هذا يبتعد عن شبهات كثيرة جداً ممن حاربوا الوحي من الفلاسفة وأمثالهم من أهل الكلام، وكذلك الملحدين، وهو يرد على شبهة النصارى الخاصة بالروح كذلك.

والله أعلم.

* * *

مبحث
بيان صفة العلو وعلاقتها بوجود اللّه

وعلو الله عز وجل بذاته على عباده من المعلوم بالنقل والعقل والفطرة.

• قال تعالى:

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه ٥].

قال مجاهد: علا على العرش.(١)

• قال تعالى:

﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ﴾ [النحل ٥٠].

وهو سبحانه ليس داخل خلقه بل فوقهم جميعاً.

• قال تعالى:

﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [الأنعام ١٨].

وعلو الله بنفسه هو الذي عليه عامة الناس، فهو ثابت بالفطرة، فالعباد جميعهم يرفعون أيديهم إلى السماء يدعون ربهم لا يقصدون غيره، بل وفي سجودهم قلبهم يميل لجهة العلو، فالكل يدعو الله مستيقناً أنه فوق كل خلقه.

وهذا يثبت وجود الله حيث أن العبد عرف صفة علو الله بالفطرة فهو علم ضروري، فمعرفته لوجود الله من باب أولى.

= أما عقلا فيقال: ما من موجودين إلا وأحدهما داخل الآخر، مثل القلب داخل البدن، أو خارج الآخر مثل الشمس خارج القمر.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه معلقا بصيغة الجزم ٩/ ١٢٤

وممتنع أن يكون الله داخل خلقه، لأنه سيكون داخل القاذورات وغيرها، وهذا متنزه عنه نقلاً وعقلاً .

=أما نقلاً :

• فلقوله تعالى:

﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ [المائدة ٧٢].

فلو كان الله تعالى داخل خلقه لكان داخل المسيح بالفعل، والثابت خلاف هذا.

= أما عقلاً: فكما بيّنا أن كل كمال غير ممتنع فهو واجب للخالق، فثبت أن الخالق خارج خلقه.

– فإن قيل: نعم هو خارج عالمنا، لكن هل هو في الأعلى أم في الأسفل؟

= قلنا: العلو محمود بالفطرة والسفل مذموم.

• قال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [النساء ١٤٥].

• وقال تعالى:

﴿ فَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴾ [الصافات ٩٨].

فالسفل مذموم والعلو محمود، ولو كان العبد يمكن أن يتصف بالعلو فالخالق من باب أولى، فثبت أنه بالعقل والنقل وإجماع العقلاء أنه فوق العرش بنفسه، ولا يوجد كتاب سماوي محرف أو غير محرف إلا ويوافق هذا.

فثبت أن الله بالأعلى وعلوه معلوم بالفطرة علما ضروريا، فبما أن صفة العلو لله ضرورية فوجوده ضروري من باب أولى.

والقصد أن حجج القرآن العقلية أثبتنا بها أغلب الصفات المعلومة من النقل الصحيح أيضا بفضل الله.

حيث أن العقل الصريح والنقل الصحيح لا يتعارضان كما ثبت بفضل الله.

* * *

مبحث
ختام مبحث الصفات

ومما نستفيد منه من البحث أن وجود الله وصفاته الثابتة بالإسلام توافق العقل، وأن أدلة القرآن العقلية أثبتنا بها كل الصفات.

وهذا يرد على بعض الفِرَقِ التي ظنت أن القرآن ليس هدىً في التوحيد أو في العقائد، وهذا ليس لنقص بالقرآن بل لنقص بعقولهم، فهم أدنى من أن يفهموا أدلة القرآن.

= ثم نقول: إن الملحد لم يظن شيئا في القرآن أنه متناقض إلا كان التناقض في عقله هو لا في الدين ولا في أدلة وجود الله وصفاته، والثابت أن الله يوصف بصفات الكمال كما تم البيان، وكل صفة ترتبط بالأخرى، فعلو الله يثبت وجوده ووحدانية الله تثبت إرادته وعلم الله يثبت حكمته وحكمة الله تثبت صحة النبوة كما سيأتي إن شاء الله.

وهذا كله يبين أن الدين كله مترابط ومتماسك، ولا تجد حجة إلا وهي ثابت أصلها بكلام الله عقلية كانت أو نقلية.

ونجد أن الإلحاد متناقض ولا توجد شبهة عند اللا-ديني إلا وتسقط بين حجج أهل الدين، وهم يدعون إلى الشك فقط لا منهجية عندهم.

فهذا المبحث، مبحث الصفات هام جداً، ونحن نثبت ما أثبته الله لنفسه إثباتا بلا تمثيل وننزه الله تنزيها بلا تعطيل.

• قال تعالى:

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى ١١].

وكل ما أثبته لنفسه لا يخالف العقل فكلام الله حجة قوية دائماً،

• وصدق سبحانه عندما قال:

﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ﴾ [البقرة ٢١٣].

ومما بيناه أنه لا يصح للمؤمن ألا يربط بين ما يثبته من صفات وبين النقل، وما تم إثباته من صفات هو دليل على صحة النبوة كذلك، لأن الإسلام أتى بكل تلك الصفات الموافقة للعقل.

بجانب الأدلة القطعية القادمة بمبحث صحة الرسالة إن شاء الله تعالى.

ثم وجب على المسلم أن يلتزم بالألفاظ الشرعية في إثباته للصفات، وهذا دين قيم فتأمل أدلته كلها تجدها قطعية بفضل الله.

وتجد شبهات المخالف ﴿كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور ٤٠].

والحق بيّن والباطل بيّن ومن لم يتبع الحق ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء ١١٥].

والحمد لله على اتباع الحق وترك الهوى.

* * *

مبحث
كيفية مناظرة الربوبي

بعد أن أثبتنا الصفات، يصبح المخالف حينها ربوبيا، يؤمن برب خالق قدير عليم ولا يعلم أهناك دين أم لا.

وهناك ربوبي يجزم أنه لا يوجد دين، ونلزمه بهذا، ومبحث صحة الرسالة قريب نبين فيه هذه المسائل إن شاء الله.

والربوبي إما أن يكون ربوبيا في الأصل أو ربوبيا بعدما كان ملحداً.

والأول وهو الذي في أصله ربوبي، أي أنه ترك الدين ومازال يؤمن بوجود خالق.

= فهذا نقول له: ماهي صفات ربك؟

ونتعامل معه على أساس ما سيوافق الحق فيه من إثبات الصفات، فإن وافقنا ندخل بصحة الرسالة، وإن لم يوافقنا نناقشه فيما نفى من صفات الكمال الثابتة عقلا ونقلا.

وأما الملحد الذي ناقشناه حتى أصبح ربوبيا ننتقل معه إلى بيان صحة الرسالة مباشرة.

ثم لتعلم أنك كمسلم لست مضطرا أن تثبت للملحد كل هذه الصفات التي أثبتناها، بل يكفي إثبات صفات العلم والحكمة والإرادة كمثال، لأن صفة الإرادة كمثال ترد على إشكالات كثيرة للملحد، كمعضلة الشر، بل وبعض الإشكالات حول صحة الرسالة كما سأبينه،

= حيث أنك تقول للربوبي: هل يمكن لله أن يريد أن يرسل لنا رسلاً كما برسالة الإسلام تماماً؟

– فإن قال: لا، خالف إرادة الخالق التي أثبتها وجعل الخالق مجبراً.

– وإن قال: نعم، أثبت جواز إرسال الرسالة عقلاً، وهذا له تفصيل قادم إن شاء الله.

وكذلك صفة الحكمة، فيجوز أن يرد بها على معضلة الشر كمثال

= فيقال: أنت أثبت الحكمة لله، والجهل بالحكمة لا يعني عدمها، فكل شر بالعالم له حكمة ولكن قد لا نعلم هذه الحكمة، وأنت وافقت العقل وأقررت بوجوب اتصافه بالحكمة، وهو المطلوب.

والقصد أن كل صفة تم بيان وجوبها لله تعالى إنما تدل على صحة النبوة من باب أن الله هو من دلنا على هذه الأدلة العقلية أو من جهة أنه لا يوجد دليل عقلي إلا ويثبت ما هو بالدين.

ومن جهة أخرى فإن كل صفة قد يرد بها على شبهة، وهذا كله سيظهر تباعاً في بقية المباحث المتعلقة بالرسالة إن شاء الله.

والربوبي هو من اعتقد يقينا بوجود خالق موصوف بصفات الكمال، غير هذا يبقى ملحدا أو لا–أدريا فتنبهوا لهذا.

– فإن قال لك: أنا أؤمن بشيء أزلي سبب كل شيء.

– ثم قال: هو طاقة، فهذا ليس ربوبيا بل هو ملحد ينكر وجود الخالق الأول الموصوف بصفات الكمال.

وكل مسلم هو ربوبي فكل مسلم يؤمن برب موصوف بصفات الكمال.

فالحاصل أن الربوبي نناقشه في صحة الرسالة مباشرة لو كان ملحدا ثم تحول إلى ربوبي داخل نقاشه معك.

أو نناقشه في صفات ربه إن كنا لا نعلم حاله ولا نعلم ما يثبت من صفات وما ينفي منها، فهب أنه يقول لك: أنا أؤمن برب يحب كل خلقه مهما فعلوا، فنحن نعلم بأن هذا نقص، حيث أنه من الممتنع أن يحب الخالقُ الظالمَ من خلقِه الذي يظلم الناس ويستضعفهم.

فهذا مبحث هام وجب بيانه قبل الدخول لصحة الرسالة.

* * *

فهرس

مقدمة ٧
سبب تأليف الكتاب ٨
التأصيل ومصادر المعرفة ١١
مبحث التعريف باللا –دينية ١٣
مبحث التأصيل ١٤
مبحث مصادر المعرفة ١٧
مبحث ضبط مصادر المعرفة ٢٠
مبحث الاعتراضات حول الخبر كمصدر للمعرفة والرد عليها ٢٤
مبحث النقاش مع منكري البديهيات العقلية ٢٨
مبحث الحقيقة المطلقة ٢٨
مبحث النقاش مع منكري البديهيات العقلية ٣٣
مبحث السببية ٣٣
مبحث النقاش مع منكري البديهيات العقلية .. امتناع اجتماع النقيضين ٣٨
مبحث النقاش مع منكري البديهيات ٤٣
هل البديهيات العقلية تعمل خارج الكون؟ ٤٣
مبحث الرد على من لا يصدق أن الحس ٥١
مصدر للمعرفة ٥١

مبحث تنبيهات للمؤمن ٥٥
عندما يسأله اللا-ديني في البديهيات ٥٥
مبحث نقاش مع من يقول لا أصدق إلا العلم ٥٨
مبحث التعريف بفيزياء الكم وعلاقة الملحد بها ٦٣
مبحث الرد على شبهة أن فيزياء الكم تنفي السببية ٦٥
مبحث الرد على شبهة ٦٨
«فيزياء الكم تثبت اجتماع النقيضين» ٦٨
مبحث علاقة الملحد بالفيزياء ٧٣
مبحث الرد على قول الملحد بأزلية الطاقة ٧٥
مبحث قول الملحد المادة أزلية وتغير صورها له بداية ٨٠
مبحث فرضية الأكوان المتعددة والرد على شبهاتهم بها ٨٤
مبحث الرد على شبهة «أن كل ما نحن فيه حلم فقط» ٩٠
مبحث تأثير اللامادي في المادي وكيفية الخلق من عدم ٩٣
براهين وجود الله **٩٧**
مبحث التأصيل بأدلة وجود الله ٩٩
مبحث دليل الفطرة على وجود الله ١٠٤
مبحث دليل الأخلاق على وجود الله ١٠٨
مبحث الأدلة العقلية على وجود الله دليل الإمكان ١١١
مبحث الأدلة العقلية على وجود الخالق دليل الافتقار ١١٤

مبحث لأدلة العقلية على وجود الله والرد على شبهة: من خلق الخالق؟ ١١٦
مبحث معضلة الشر حجة ضد الملحد ١٢٠
مبحث الرد على قول الملحد «أنت تثبت إله الربوبيين لا إله الإسلام» .. ١٢٤
مبحث لأدلة العلميّة على وجود الله..... ١٢٨
مبحث هل الله قادر على خلق المستحيلات؟ ١٣٣
مبحث هل عدم معرفة ماهية الخالق تمنع وجوده؟..... ١٣٦
مبحث ختام مبحث براهين وجود الله ١٣٩
صفات الخالق **١٤١**
مبحث مقدمة في مبحث الصفات ١٤٣
مبحث شرح قياس الأولى وعلاقته بصفات الله ١٤٦
مبحث براهين صفة الوحدانية لله تعالى..... ١٥٢
مبحث إثبات وجوب اتصاف الخالق بالصفات ١٦٣
مبحث وجوب الكمال لله وتنزيهه عن النقص ١٧٠
مبحث إثبات أن الله خالق وأن قدرته مطلقة ١٧٦
مبحث إثبات صفة الإرادة المطلقة لله ١٨٢
مبحث وجوب صفة العلم لله تعالى..... ١٨٧
مبحث ثبات أن المسبب الأول وجوده لا ينتهي ١٩٢
مبحث إثبات صفة الحكمة لله ١٩٥
مبحث إثبات صفات الرحمة والمحبة والغضب لله ٢٠٢

مبحث إثبات صفة الكلام والرد على النصارى والفرق المخالفة ٢٠٨
مبحث إضافة الصفة وإضافة التشريف ٢١١
مبحث بيان صفة العلو وعلاقتها بوجود الله ٢١٣
مبحث ختام مبحث الصفات..... ٢١٦
مبحث كيفية مناظرة الربوبي..... ٢١٨